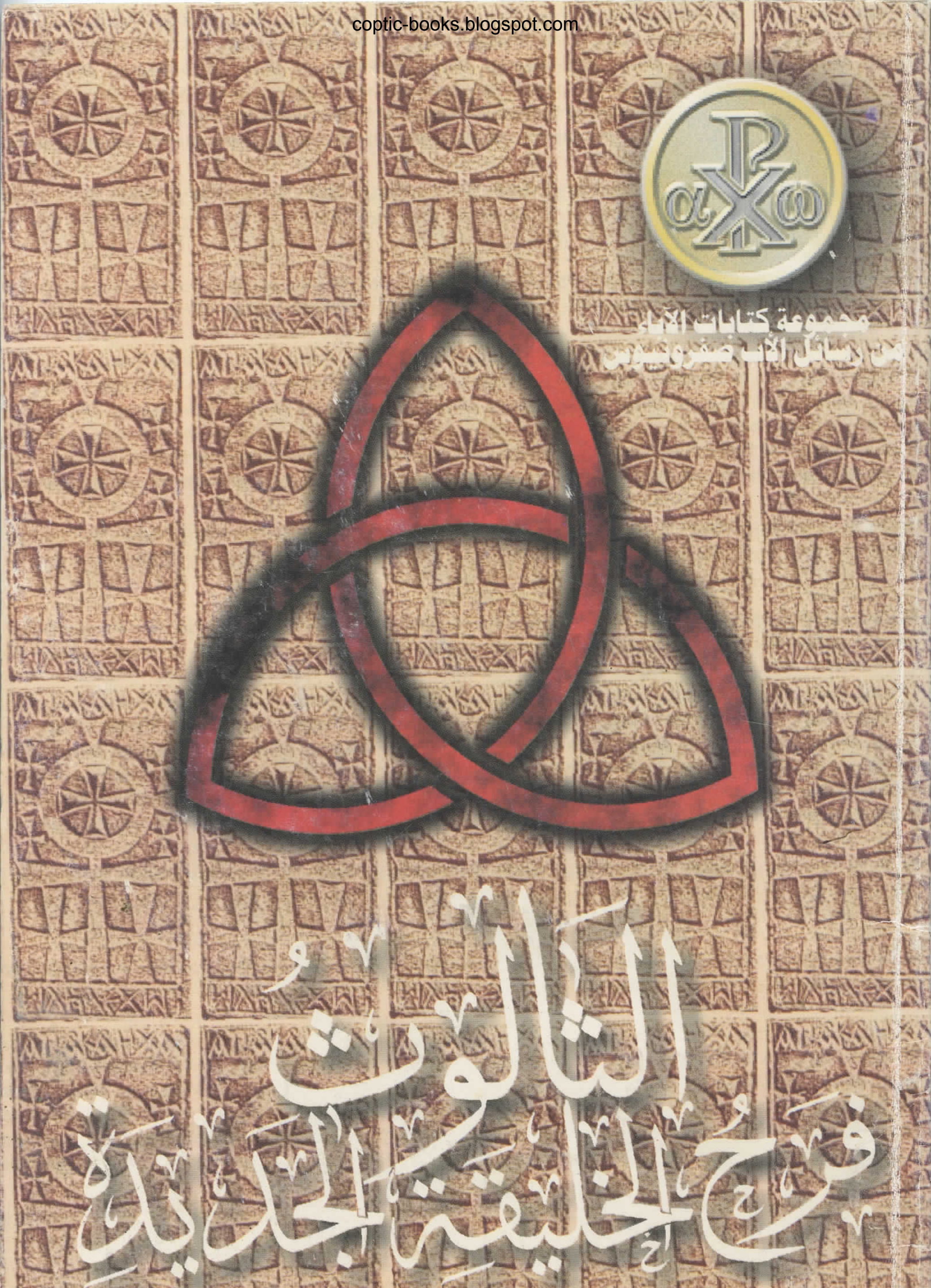

αPXω
مجموعة كتابات الآباء
من رسائل الأب صفرونيوس
الثالوث
فرح الخليقة الجديدة

الكتـــاب :- الثالوث فرح الخليقة الجديدة

الطبـــعـــة :- الأولى عيد الظهور الإلهى يناير ٢٠٠٠

رقم الإيداع :- ١٧٣٧ لسنة ٢٠٠٠ م

المطبـــعـــة :- دار يوسف كمال للطباعة ت : ٤٨٢٧٠٧٤



صاحب القداسة
الأنبا شنوده الثالث بابا الاسكندرية
وبطريرك الكرازة المرقسية

تقديـــــم

تتميز كتابات القديس صفرونيوس - كســائر كتابـات الآبـاء القديسـين - بالسمو والعمق الروحاني، وصفاء الرؤية اللاهوتية. هذه العوامل قد توافرت له مـن خلال حياته النُسكية وشركته العميقـة مـع الله. واستطاع أن يُعبِّر عنهـا بتواضـع كامل، فإزدادت بهاءً ونورانيةً.

وقد تُرجمت له أوَّل رسائله - عن الخوف - في كُتيبٍ نُشِرَ سـابقاً، ولاقـى تقديراً واستحساناً عظيماً، مما شـجع القـائمين علـى هـذا العمـل علـى ترجمـة هـذه الرسالة عن الفـرح - فـرح الخليقـة الجديـدة - وإرتبـاط عقيـدة الثـالوث بالخليقـة والكون والإنسان.

وقد ساق في كتابته عدة أمثلة بديعة مدعمـة بآيـاتٍ مـن الكتـاب المقـدس، ليقدم لنا مفـاهيم الروحانيـة الأُرثوذكسية في البُعديـن الروحـي والتطبيقـي لعقيـدة الثالوث الإله الواحد.

إن هذه الرسالة ستساعد القارئ المُتأني على إدراك منطق محبة يسوع الإبـن المُخلِّص، وإنه لا خلاص بدون تمايُز الأقانيم، الأمر الذي جاءنا حسب إعلان إلهي، وليس حسب إجتهادات بشرية، أو أفكار فلسفية، وحيَّر عقول كثيرين.

ولقد إستطاع القديس - لاسيما في الفقرات مـن ٦١ إلى نهايـة الرسـالة - أن يُدخِل اللاهوتيات بمنهج تطبيقي في الحياة الروحية للإنســان المسيحي. ثـم بيَّـن تأثير ذلك عملياً على إختبار البنوة الحقيقية لله، والشركة في جسد المسيح الواحـد،

ومفهوم الخليقة الجديدة، والولادة الجديدة في المسيح، ثم كيف يَثْبُت الإنسان المسيحي في حياته الجديدة بعمل الرُّوح القُدس.

ثم ختم رسالته المُباركة بقوله:" أتوسل إلى الآب السماوي الذي أعطانا حياة إبنه لكي نحيا به وفيه، أن يكون لنا فرح الخليقة الجديدة بالثالوث القدوس، وأن لا نتزعزع عن الطريق الذي نسير فيه أو نحيد عنه؛ لأنه طريق القديسين؛ ولأنه ذات الطريق الذي رسمه لنا ربنا يسوع المسيح نفسه، الذي قال أنا هو الطريق إلى الحياة الحقيقية. صفرونيوس يسأل بركة صلواتكم.

القمص أنطونيوس أمين

راعي كنيسة مار مرقس

مصر الجديدة

هذا النص:

المعرفة الروحية حسب تراث

الأرثوذكسية

لا تخلو كتابات الآباء من الإهتمام الواضح بالمعرفة الإنسانية بشكل عام. لقد كان العلاّمة أُوريجينوس هو أوّل لاهوتي مسيحي حاول أن يُنظّم هذا الموضوع، وذلك عندما وضع أوّل كتاب لاهوت نظامي Systematic في تاريخ المسيحية، وهو كتاب المبادئ. فقد قسّم الإيمان إلى ثلاثة اجزاء: جزء خاص بالآب، والجزء الثاني بالإبن، والأخير للروح القدس. كما قدّم أُوريجينوس أساس وقواعد المعرفة، أي قواعد المعرفة الجديدة في العظات على سفر "نشيد الأناشيد".

ولا يسمح مجال هذه الدراسة المُوجزة بأن نحلل جوانب ومصادر ونوع المعرفة الروحية عند أُوريجينوس نفسه، بل وفي رسائل الأنبا أنطونيوس، والقديس أثناسيوس الرسولي، ويوحنا الدرجي، وإسحق السرياني.....فالموضوع كبير جداً ومتشعب، ويحتاج إلى أكثر من مجلد، وهذه ليست مبالغة، لأننا في إيجاز شديد نستطيع أن نرى فروع المعرفة السبعة في تراثنا المسيحي، وهي:-

١- المعرفة العلمية، تلك التي تنشأ في دائرة العلوم، وتبقى في دائرة العلوم.

٢- المعرفة الإستدلالية، أو الفلسفية، التي تولد داخل فروع الفلسفة، ولها القواعد التي تُميِّز الفلسفة والمنطق.

٣- المعرفة اللدُنية، تلك التي يسكُبها الرُّوح القُدس في فكـر الإنسـان وقلبـه، وهـي هبة الله لكل إنسان، وهي معرفة شخصية.

٤- المعرفة المُكتسبة من البيئة والمجتمع، وهي المعرفة السائدة التي نحصل عليها بالحياة الإنسانية، وهي محدودة بالزمان الذي نعيش فيه.

٥- المعرفة التي تولد من كلمة الله في الأسفار المقدسة، وهي المعرفة الـتي تـأتي مـن الوحي، والكتابات الإلهية.

٦- المعرفة التي تولـد وتنمـو مـن الإلتصـاق بالشـريعة الأخلاقيـة، أي معرفـة الخـير والشر، وهي متصلة بالفروع السابقة.

٧- المعرفة التي يحصل عليها المسيحي من الشركة في حياة الرب يسوع المسيح، وبسبب إختباره للتطهير الذي يقوم به الرُّوح القُدس، وهي معرفة تسمى احيانـاً الحكمـة الإلهيـة، أو التمييز والإفراز، ونور الرُّوح القُدس، وهي أعلى درجات المعرفة الروحية.

هذه الفروع السبعة لا يفصلها عن بعضها البعـض إلاّ القليـل، ونحـن جميعـاً ننال قدراً منها، كلّ حسب حياته ومكانه في الكنيسة، جسد المسيح.

المعرفة في نص هذه الرسالة:

تمتـاز رسـائل الأب صفرونيـوس بدقـة لاهوتيـة كبـيرة، وتحتـاج إلى دراسـة جـادة، وبشـكل خـاص، علاقـة هـذه الرسـائل بكتابـات الآبـاء. لقـد كتـب الأب صفرونيوس رسالتين عن القيامـة والإفخارسـتيا، شـرح فيهمـا الكثـير مـن جوانـب المعرفة الروحية، وأكد فيها على حقيقة هامة أوجزها القديس غريغوريوس النزيـنزي

عن حاجتنا إلى لُغة إنسانية جديدة تشرح، وتُعبِّر عن تجسد الإبن والتدبير الإلهي (المقالة اللاهوتية ٤ : ٩٠). هذه اللغة الجديدة بدأت تتكون في كتابات آباء الإسكندرية، وبدأت، بشكل خاص، فيما يوصف الآن - حسب المصطلحات العربية الدارجة عندنا - بالتأويل الرمزي، وهي ترجمة غير دقيقة للكلمة اليونانية Τυπο أو Type، وهي ليست رمزاً، بل المثال. والتأويل حسب المثال، هو شرحٌ للنص في ضوء تجسد الإبن وصلبه وقيامته. وبالتالي، فهو ليس خيالاً بشرياً يفرض نفسه على نص الكتاب المقدس، بل هو" إستلهام" معاني الكلمات من حياة المسيح، ومن التعليم الرسولي.

كان القديس بولس الرسول هو أوَّل مَن إستخدم هاجر وسارة كمثالين للعهدين، الجديد الذي تمثله سارة، والقديم الذي تمثله هاجر(غلا ٤ : ٢١ - ٣١). وهاجر تمثل اليهودية، بينما سارة من كنيسة العهد الجديد التي فيها ننال الميلاد من فوق، مثل ولادة إسحق.

هكذا تطورت اللغة الإنسانية في العهد الجديد، وصارت للمعرفة الجديدة قواعد، ومنطق جديد، شرح الأب صفرونيوس هذه القواعد في رسالة للأب زكريا أحد رهبان ديره، ولمس بعض جوانبها في هذه الرسالة. وإن كان الأب صفرونيوس يؤكد هنا بشكل خاص، ما يلي:-

١- أهمية المعرفة العقلية التي تحلل وتدرس حسب قواعد المنطق والفلسفة...ومجال هذه المعرفة هو المخلوقات؛ لأن قواعد الفلسفة والمنطق رُسِمَت للبشر، ولدراسة المخلوقات (فقرة ٤).

٢- معرفة الخير والشر، وهي المعرفة التي غُرِسَت في قلب الإنسان، وفي وجدانه (فقرة ٦).

٣- ومن المعرفة الحسية تولد المعرفة الروحية، وقدَّم الأب صفرونيوس المثال الصارخ على ذلك، وهو موضوع البنوة، حيث تطورت اللغة، وإرتفعت من المعنى الحسي إلى المعنى الروحي (فقرة ٨)، وهو ما يجعل المعرفة تتحول إلى رموزٍ وعلاماتٍ تدل على الحياة الجديدة الغنية بأسرارها، والتي يعلنها الرُّوح القُدس.

٤- وقدم الأب صفرونيوس بعد ذلك إحدى قواعد المنطق الخاص بالمعرفة الجديدة، وهي المقارنة بين منطق المحبة، ومنطق الحسد. والمقارنة بين منطق المحبة، ومنطق الحسد جدير بالدراسة والتحليل، لأن قواعد منطق الحسد تفرض على الإنسان الأنانية، والغضب، والشهوات، هذه الرذائل تُملي على الإنسان السلوك الخاطئ الذي يُستعبَد فيه الإنسان لمنطق الخطية الغريب على منطق المحبة.

منطق المحبة كما أسسه ربنا يسوع:

من التجسد والصليب والقيامة، ندرك أن المنطق الجديد:

١- لا يفصل بين الوسيلة والغاية، وهذا يفرض علينا نظرة كلية شاملة للإيمان لاتسمح بالتقسيم والفصل.

٢- لا يفصل بين الهبة والواهب؛ لأن هذا الفصل هو عمل الشيطان الذي يختار الهبة، ويترك الواهب، ويفصل بين الوسيلة والغاية، ويخلق لذلك التبرير العقلي لكل الشرور (فقرة ١٢).

وهنا، وحتى تُنشر كل مؤلفات الأب صفرونيوس، نكتفي بأن نُذَكِّر القارئ بالحقائق التالية:-

أولاً: إن جمع الوسيلة والغايــة في المسيح، بـل واحديـة الوسـيلة والغايـة هـو الـذي يؤسس اللاهوت الحقيقي الذي تسود فيه تلك النظــرة الشـاملة، والـتي تجعلنـا نقـرأ الأسفار المقدسة بشكل جديد، وصفه الأب صفرونيوس في رسالته للأب زكريا بأن لُغة الأسفار صعبة على مَن يفصل بين الوسيلة والغاية، وإن كل مشاكل الهرطقــات نابعة من العجز عــن إدراك غايـة كلمـات الله والوقـوف عنـد الكلمـات وحدهـا، وفقدان النظرة الشاملة التي تحددها الغاية.

ثانياً: وواحدية الهبة والواهب تعطي للمحبة الإلهية طابعاً خاصـاً، وهـو تـأهيل وتوظيـف كل الخبرات والكلمات لكي تدرك تواضع الله، ومنطق المحبة نفســه الـذي يمتـاز بـالبذل (فقرة ١٣). ومن هذه النقطة ينطلق الأب صفرونيوس لكي يشرح الثالوث.

الثالوث حسب منطق محبة يسوع المسيح:

إستخدم الأب صفرونيوس تعبيرات مدهشة جديــدة علـى اللغـة اللاهوتيـة، فقد وصف كلمة أُقنوم بأنها مفتاح الحياة الجديدة، مع الأخـذ في الإعتبـار أن الأب صفرونيوس لا يفصل بين الحياة، والمحبة، والمعرفة...فهذه كلها بنية واحـدة حسـب الإعلان الجديد في ربنا يسوع المسيح، وذلك:

أولاً: لأن الإعلان الجديد أبطل أسباب التباعد والإنقسام الذي دخل مع الخطية (فقرة ٢١).

ثانياً: لقد قضى الإعلان الجديـد علـى الفصـل بـين الكلمـة، والحيـاة، أي وسـيلة المعرفـة (وهي الكلمة والحياة) التي تُولد وتنال التجديد في المسـيح لكـي تنـال كـل كلمـة قوتهـا ومعناها من المثال والسلوك (فقرة ٢٠)، ولذلك، وحَّد هذا الإعلان بين الوسيلة والغاية.

ثالثاً: في رسالتيه عن القيامة والإفخارستيا، شرح الأب صفرونيـوس التحـوُّل الـذي

حدث للطبيعة الإنسانية، إلاّ أنه إكتفى - في هذه الرسالة - بشرح تجديد الطبيعة الإنسانية على هذا النحو:

١- إن الوهم الذي غرسته الخطية، أبطله الوحي.

٢- إن الرذائل قد تأخذ شكل القوة والعزة (فقرة ٢١).

٣- إن الوجود الزائف الذي " جذره في الفراغ أوالعدم"، هو الوجود الذي حوَّل تعدُد وتنوع الخليقة إلى صراعاتٍ وموت، لكن بولادة الخليقة الجديدة، تعود إلى الوحدة في المسيح.

هذه الموضوعات تحتاج إلى دراسات مطولة، وإلى تأصيلٍ من كتابات الآباء السابقين على كتابات الأب صفرونيوس، ولكننا نكتفي هنا بتأكيد ثلاثة حقائق خاصة بالثالوث:-

أولاً: لقد ترك الثالوث بصمةً قويةً على الخليقة. ومن التنوع والتمايز والوحدة، يرتفع فكر الإنسان من تأمل ما هو منظور إلى تأمل ما هو غير منظور. هذه المعرفة تنال معونة الوحي، وعمل الرُّوح القُدس (فقرة ٣٢)، لأن إدراك الحق الخاص با لله لا يأتي من مجرد تأمل الخليقة، بل من نور الرُّوح القُدس الذي يقود هذا التأمل برفق نحو إدراك إعلان ا لله.

ثانياً: عودة الإنسان إلى إدراك كيانه ومعرفة نفسه. وهنا يكتب الأب صفرونيوس عبارة ذات دلالة هامة "على قدر ما يعرف الإنسان نفسه، يعرف ا لله" (فقرة ٣٣)، لأن المعرفة الإنسانية لا يمكن فصلها عن حياة الإنسان، وبقدر درجة نقاء الصورة

الإلهية التي أُعطيت للإنسان من ا لله، تنال هذه المعرفة تجديداً في المسيح.

ثالثاً: تقود المعرفةُ الإنسانَ نحو التشبه، إمَّا بنفسه، وإمَّا با لله. وهكذا يدرك الإنسان أن الشركة مبدأٌ إلهيٌ، ولذلك لا يمكن للوجود أن يبقى بدون التشبه - على مستوى الشركة - با لله الثالوث (فقرة ٣٥).

معرفتنا با لله كثالوث:

حدد الأب صفرونيوس ما هو معروفٌ لنا من كتابات الآباء، ألا وهو أن اللغةَ أداةٌ إلهيةٌ بشرية (فقرة ٤٣ - ٤٦)، وإن أداة اللغةُ هي الكلمة "نحن لا نملك أي شركة مع ا لله بدون الكلمة، ولا يمكن أن تنشأ بيننا وبين غيرنا علاقة بدون الكلمة"(فقرة ٤٤).

ولأن الخطية هي التي أدخلت التباعد والإنفصال، لا يجب أن نفصل بين الكلمة وعمل الرُّوح القُدس الذي يُعطي "اللسان الجديد"، وهو اللسان الذي يعاني الآن من سوء إستخدام الحركة الخمسينية له، لأنه لسان جديد ينطق بمعرفة جديدة، ويُعطى كلام حكمة بالرُّوح القُدس (١كو ١٢ : ٨) (راجع فقرة ٥٠). وكما تُعلن الكلمة الإنسانية حقيقة روح الإنسان (فقرة ٥١)، تُعلن الكلمة الإلهية تواضع ا لله وقدرة الإبن (فقرة ٥٤).

ويربط الأب صفرونيوس بين تنوع الكلمة وعمل ا لله الواحد المتنوع، ومن تنوع المواهب الروحية داخل الكنيسة، وتنوع الرتب السماوية، يدرك الإنسان إن التنوع هو أساس الشركة "توزيع العمل يعني تعدُد الأشخاص" (فقرة ٥٧)، وإن كان على - المستوى الإلهي - يوجد في الثالوث إرادة واحدة.

ونلاحظ أن الأب صفرونيوس قد لَمسَ - في سرعةٍ - حلول الثالوث في الكائنات، وقيادة الخليقة بواسطة الإبن الكلمة، وبواسطة الرُّوح القُدس، لاسيما سُكنى الثالوث فينا بالرُّوح القُدس، وبسبب الوسيط الواحد ربنا يسوع المسيح. هذا الموضوع شُرِحَ بكفايةٍ في رسالةٍ موجزة كُتبت في عيد العُنصرة للأُخوة المبتدئين في حياة الرهبنة.

الثالوث وخلاص الإنسان:

يؤكد الأب صفرونيوس أن الثالوث خاص بإعلان الخلاص. وشركتنا في بنوة الإبن تفتح لنا مجال معرفة الآب الذي منه هذه البنوة، ومعرفة الرُّوح القُدس الذي به ننال شركتنا في المسيح. وقد حدد الأب صفرونيوس شركة الثالوث في الخلاص بعباراتٍ موجزةٍ شاملةٍ مثل "كل أُقنوم يجود بعطية خاصةٍ به، أي العطية الصادرة من الصفة الأُقنومية التي تميِّزه" (فقرة ٦١)، وهكذا تمايُز كل أُقنوم يحدد لنا شركة كل أُقنوم في تدبير الخلاص (فقرة٦١ كلها).

ولعل أهم تحذير ينقله الأب صفرونيوس عن معلمه ديونيسيوس الكبير هو المعرفة والتصورات الإنسانية التي تولد من المُخيلة التي تتصور الإنفصال والإغتراب، وتفرض هذا التصور على الثالوث، ولذلك قدَّم وصيةً هامةً، ألا وهي تدريب المخيلة لكي تميِّز بين الأنفصال والوحدة (فقرة ٦٢ هامة جداً).

ومن الإفخارستيا، وهو سر الوحدة والتمايُز، ينقل الأب صفرونيوس عن الأب زكريا الصغير إن توزيع جسد المسيح في هذا السر، هو صورة جسد القيامة الذي هو واحد في الكل (فقرة ٧٠).

الثالوث وحدانية حقيقية:

الفقرات من ٧٢ - ٨٣ هي قلب الرسالة، ولذلك نتركها للقارئ لكي يتذوقها، فهي حُلوة مثل العسل، بل هي عسل الأُرثوذكسية الصافي.

عيد الظهور الإلهي

٢٠٠٠م

الثَّالوث،

فرحُ الخليقةِ الجديدةِ [1]

مُقدِّمة:

١- صفرونيوس خادم الرب يسوع المسيح، والذي لا يخجل مِن أنْ يقول مع رسول المسيح؛ "**عبدٌ ليسوع المسيح**" (رو ١ : ١)، أطلب صلواتكم عني، لأنني أُحاول قدر جَهدي أنْ أكتُب لكم عن "**بحر المحبة الإلهية**"، و"**غِنى اللاهوت**"، الذي لا يُمكن لعقلٍ أنْ يغوصَ فيه إلى أعماقه التي لا تُدرَك.

تأملوا أيها الإخوة إتساع البرِّية، وقبة السماء فوقنا، التي لا يُدرِكها البصر، فإذا كان العالم المنظور مملوءً بالأسرار، وفوق قدرتنا إدراكه، فكيف يجوز لنا أنْ نتكلم عن اللهِ خالق كل ما هو منظورٍ، وما هو غير منظورٍ؟ .. إنْ كان العقل لا يقدر أنْ يُحصي قَطَرَات المياه التي يراها، بل ويشربها الإنسان .. ويعجز عن أنْ يُحصي نجوم السماء .. فكيف يُحيط، ويُدرِك أسرار خالق كل هذه؛ أي الله؟!

أدب الحوار:

٢- ليكن لنا الأدب الجَمُّ والوقار، عندما ندخل حضرة الله، لأننا أحيانا - بدون حياءٍ - نسألُ عن أُمورٍ فوق قدرتنا، وعِوضاً عن الوقار والحياء، نقع في

---

(١) عنوان هذه الرسالة أُخذ مِن الفِقرة رقم ٢١، والعناوين من وضع المُترجم.

الإرتباك وفوضَى الفكر .. جيدٌ ونافعٌ لنا أنْ نصمُت بسبب الجهل، وأنْ لا نخاف أنْ نقول إننا لا نعرف، مِن أن نقع أسرى كبرياء الفكر، ونغضب أو نثور أو نقع في بئر اليأس؛ لأنَّ الإعتراف بالجهل أفضل من الجدل العقيم.

أنواعُ المعرفة:

٣- المعرفةُ أنواعٌ، ولكن الذي يهمُني هنا هو المعرفة العارية عن المحبة .. لأنها في حقيقة الإمر فضول العقل الذي يريد أنْ يدخل إلى أعماق الأشياء، ويتعامل معها بلا حذرٍ، .. يقول عنها الرسول؛ إنها "**تنفخ**" (١كو ٨ : ١)، لأنها معرفةٌ للسيطرة، ومعرفةٌ للسيادة على ما نعرف، وهي تشقُ وتؤسِّس طريق العظمة الباطلة .. هي أشبهُ بمعرفة اللص الذي يُريد أنْ يعرف لكي يسرق، ويُريد أنْ يتعلم لكي يُتقِن هذه الرذيلة .. وكل ما يعرفه يُسهم في نمو هذا الشَّر في قلبه.

٤- والمعرفةُ العقليةُ التي تحُلِل الحقائق حسب قواعد المنطق والفلسفة، جيدةٌ ونافعةٌ، إذا كانت تُناقِش وتَدرُس المنظورات، .. فا لله خالق الأشياء، حدَّد لكل كائنٍ طبيعةً، وجعل لكل طبيعةٍ حدوداً رسمها بعنايةٍ، وأصبح الفلاسفةُ همُ أمهر الناس في دراسة ورصد طبائع الأشياء، وإكتشاف صفات وعمل كل طبيعة .. هذه المعرفة لا تفيد مَنْ يدرُس الإلهيات ويتأمل أعمال ا لله مع البشر، لأن طبائع المخلوقات ليست مثل طبيعة أو جوهر ا لله، وحدود الطبائع المخلوقة رُسِمَت للبشر لكي يتأملونها ويدركون كيف يعيشون في الكون، وهي لذلك لم تُرسَم (تفرض) على الخالق .. وما يجوز، بل إنَّ ما هو نافعٌ للتعامل مع المخلوق، لا يصلح لله، وإلاَّ أصبح عائقاً أمام فهم الخالق. وهكذا لا يفيد الطب ولا الفلسفة ولا رصد الأجرَام

السمائية ولا صناعة العقاقير في إكتشاف ميلاد ربنا بالجسد مِن البتول القديسة مريم والدة الإله، ولا كيف إتحد لاهوته بالناسوت؛ لأن المعرفةَ اللازمة لفحص ميلاده وتجسده هنا هي إعلانٌ إلهيّ يُوهَب لنا بالرُّوح القُدس، لا المعرفةُ العقليةُ التي تدرُس المنظورات، وتحُلِل وتبحث في طبائع الأشياء المرئية.

٥- ومعرفة قواعد المنطق لازمةٌ لفحص الحُجة والدليل، ولإكتشاف التناقض، أوالباطل في كلام الناس .. ولكن قواعد المنطق، مهما كانت، تعجز أمام عمل ا لله، الذي رغم أنه أعطَى الحكمةَ للانسان، وغرس المعرفةَ في قلبه وعقله، إلاَّ أنَّ قواعد معرفة الصوابِ، مِن الخطأ -رغم ضرورتها- فهي خاصةٌ بنا نحن البشَر، ولا يمكن أنْ تُستخدم كأداةٍ لفحص حكمة ا لله، لأن حكمة ا لله أعظم، وطُرق حكمة ا لله ليست مثل طُرق الحكمة الإنسانية.

وإذا قال إنسانٌ ما إنَّ ا لله واحدٌ، سأل أهل المنطق عن معنى الكلمة وصحتها، وهي (أي كلمة واحد) تخص المنظور والمرئي، فهي تُستخدَم كرقمٍ يُعطَى عند حساب، وعَدٌ الأشياء .. ونحن نؤمن بأنَّ ا لله غير منظورٍ، ولا يمكن أنْ يُحسَب أو يشار إليه[1]، لأن كل ما نعرفه عن الأرقام لا يليق بنا أنْ نستخدمه للكلام عن ا لله، بل هو لايليق با لله؛ لأننا في أبسط وأدق ما يقال عن ا لله نواجِه عجز اللغة، وضعف قواعد المنطق عن الوصول إلى أبسط حقيقة عن ا لله، وهي أنه واحدٌ، ولا يوجد له شريكٌ أو نظير .. وإذا قُلنا "**لا شريكٌ**"، فإنَّ النفي بحرف

---

(١) أي ليس كائناً يُشار إليه بالبنان.

النفي "لا" يعني أننا فقط نُقلِع عن الخطأ، ونعلن براءتنا منه دون أنْ نقـول الحقيقـة. ونفي الخطأ واجبٌ، ولكن الأعظم منه هو إعلان الحقيقة.

إذن -حسب قواعد المنطق- ما هو المقصود بأن ا لله واحدٌ؟ والجـواب، أي الجواب الذي لا تقبله قواعد المنطق ذاتها، هو أنْ نقارن بين ا لله وبـين مَـن نتصـور أنه نظيرٌ، أو شريك، وبعد المقارنة نقول إننا أدركنـا إنـه لايوجـد للخـالق نظير أو مثيل. ولما كانت المقارنة مستحيلة على البشر أدركنا إننـا لانملـك أنْ نقـول إنَّ ا لله ليس له نظيرٌ، أو مثيل، وهذا مستحيل على البشر. ويؤكد الذين درسـوا المنطـق إنَّ المقارنـة بين ا لله والمخلوقـات مسـتحيلة علـى البشـر؛ لأن المقارنـات تجـوز بـين المتشابهات، أمَّا ما نختلف فيه، وكـان الإختـلاف ظـاهراً، فهـو لا يخضـع للمقارنـة الحقيقية، بل للحـدس [1]، وهكـذا لا نملـك أنْ نقـارن ونقيـس بقواعـد المنطـق ا لله والكائنات الأُخرى حتى يمكن أنْ نقول إنه لا يوجد لـه نظـير .. وأيـن "لا يوجـد" هذا النظير، أفي السماء، أم على الأرض؟ .. وهل ذهبنا إلى السماء ورأينـا كـل مَـن فيها، أم طُفنا في الأرض وعرفنا كل مَن عليها؟ .. والحق هو، إنَّ النظـير والشـريك

---

(١) الحَدْسُ في اللغة، هو الظن والتخمين، وفي الفلسفة، هو اليقين، وهو فعلٌ عقلـيٌ يُستخدَم في القياس، وإجمالاً هو سرعة الإنتقال من معلومٍ إلي مجهولٍ، وبحسب ديكارت، هو تصورٌ ينشأ عـن نور العقل وحده، حيث يستطيع كل إنسان أن يدرك بالحَدْسِ أنه موجودٌ، وإنه يفكر، وإنه ليـس للكرة إلاّ سطحٌ واحد، وغير ذلك من الأُمور. راجـع د. مـراد وهبـة، المعجـم الفلسـفي، الطبعـة الثالثة١٩٧٩ دار الثقافة الجديدة – القاهرة ص١٦٧ ومابعدها.

كان أحد الأوثان التي كسرها الأنبياء، وحرقوها بالنار[١].

٦- لذلك أتوسل اليكم في محبة ا لله نفسه أنْ تميِّزوا بين أنـواع المعرفـةِ؛ لأن المعرفةَ شجرةٌ عظيمةٌ أكل منها آدم وحواء. وبينما لا تزال البشرية تأكل منهـا كـل يومٍ، فإنها تمزج هذه المعرفة بالخطيئة، فتحصُد مِن ثمـار هـذه الشـجرة معرفـة الخير والشر معاً. معرفة الشر مثل القتل والحسد وسائر الشرور؛ لأنها معرفـةٌ عاريـةٌ عـن المحبة. ومعرفة الخير مثل طلب العـدل والسـعي الدائـم لطلـب مـا هـو نـافع وصـالح ومقاومة الشرور، وواجبنا حسب تعليم ربنا يسوع المسيح هو أنْ ندرك التمييز بـين المعرفة التي تُولَد مِن المحبة، وبـين المعرفـة العاريـة عنهـا؛ لأنَّ هـذا هـو واجبنـا الأوَّل الـذي نتعلَّمـه في الحيـاة النُسـكية[٢]؛ لأننـا نـأخذ هـذه البـذرة المقدَّسـة (أي بـذرة

---

(١) وذلك كما فعل موسي النبي، بالعجل الـذي صنعـه الشـعب، راجـع خـروج ٣٢ : ٢٠ (ثـم أخـذ العجل الذي صنعوا وأحرقه بالنار وطحنه حتى صار ناعماً، وذراه على وجه الماء وسقى بني إسرائيل).

(٢) يعتبِّر التراث القبطي أنَّ الناسك الحقيقي هو "لابس الصليـب"، فالناسـك هـو كـل مسـيحي يجـاهد ليحفظ وصية المسيح بإيمان وحب، وإذا كانت الوصية هي أسلس المُمارسـة النُسـكية، فقـد أُضيفـت إلي النعمة لكي تحفظ النعمة، **مع ملاحظة أنَّ النُّسك لا يُعيد الإنسان إلي ا لله، بل المسيح وحده** هو الـذي يُعيد الإنسان إلي ا لله. والكلمة اليونانية "النُّسك" من الفعل اليونـاني: Aσκεω askeo أي التدريـب على شيء مثل الرياضة وفنون القتال. ولقد ورد الفعل مرة واحدة في اعمال ٢٤ :١٦. وهـو فعـل شـائع في اللغـة اليونانيـة، ولذلـك فالناسـك هـو المتـدرب علـى الرياضـة والقتـال، أي ضبـط النفـس، والنسـك الصحيح هو: تدريب على سلوك معين صالح، لاينال بـه الإنسـان مكافـأة علـى الأعمـال الصالحـة، بـل يؤهل نفسه للبقاء في الصلاح الإلهي، أي نعمة ا لله. نحن نصوم ونصلي لا لكـي ننـال شـيئاً في المقـابل، ولذلك كتب مرقس المتوحد كتابه "ضد الذين يظنون أنهم بالأعمال ينالون ملكوت السموات".

التمييز)، في سِر المعمودية، ونُمسح بالميرون المُقدَّس؛ لكي تقودَ مواهبُ الرُّوح القُدس المعرفةَ الإنسانية نحو المحبة، ونتغذَى بالقُوت السمائي، خبز الله النازل مِن فوقٍ الواهب الحياة للعالم (يوحنا ٦ : ٣٣)، لكي بالحياة في المسيح ننالُ معرفةً أعظم مِن المعرفة التي نحصل عليها بالتعليم وقراءة الكتب النافعة.

المعرفةُ التي تُولَد مِن المحبة:

٧- تُولد المعرفة أولاً من إدراك الأُمور الحسية والمرئية، وأوّل أدوات هذه المعرفة، الكلمات ولُغة البشَر، ومجالات هذه المعرفة الخليقة المنظورة، أي المياه والأشجار والجبال.. وعندما تتدرج هذه المعرفة وتنتقل من الأُمور الحسية المرئية إلى الأُمور الأعلى العقلية تتحول مجالات المعرفة الحسية إلى عقلية، وذلك عندما تُحوَّل الكلمات والماديات إلى رموز وعلامات، وتضاف إلى المعاني الحسية المعاني الجديدة التي سلمها الرب يسوع المسيح نفسه بواسطة الرُّسل القديسين.

٨- وعلى سبيل المثال، فالبنوةُ هي حقيقةٌ جسدانية ومرئية نراها حادثةً كل يومٍ في حياتنا .. فنحن جميعاً كنا في يومٍ مِن الأيام - وربما لا نزال - "**الأبناء**" لوالدين .. ولكن هذه البنُوة الجسدانية التي نحصل عليها جميعاً بالولادة مِن أبٍ وأُمٍ، وهي معرفةٌ عامةٌ يعرفها سائر البشَر، وهي خاصةٌ بالطبيعة الإنسانية، ترتفع إلى درجةٍ أعلى بسبب عطية التبني، وذلك عندما يتعذر على العلاقة الجسدانية أنْ تُقدِّم أولاداً وبناتاً .. وعندما يعرف بعض الناس عجزهم عن الإنجاب، يجدون في أبناء الآخرين مَنْ يصلُح لأنْ يكون "**إبناً**" بالتبني .. وينال ذلك الإبن كل ما يخص الذي وَهَبَ له هذه "**البنوة**"، بل يرث إسم والده بالتبني، وتصبح له كل حقوق الإبن

الطبيعي. فإذا كانت الطبيعة تُعلّمنا هذه المُمارسة التي تعلو فيها علاقة التبني على ما تُقدّمه الأجساد وقوة الإنجاب مِن علاقةٍ، صار مِن السهل علينا أنْ نفهم، بالمقارنة، كيف يجود الله علينا بعطية "التبني" في يسوع المسيح ربنا؟ ... وهنا يجب أنْ نقول إنَّ العلاقة الجديدة بين الأب وإبنه بالتبني، قد إرتفعت فوق ما تُقدّمه العلاقة الجسدانية الطبيعية، إلى ما هو غير طبيعي، إلى علاقة محبة .. وعندما تُحوّل المحبةُ شيئاً، أو شخصاً، تصير العلاقة أقوى مِن رابطة اللحم والدم، مثل علاقة محبة يوناثان لداود الذي كان يعرف إنَّ داود هو الملك المُرتَقَب، ولكنه أحبه بسبب ما رآه فيه، رغم أنه كان هو المُرشَّح لكرسي المُلك، والذي كان يعرف أنه يجب أن يكون له، ولكنه فضَّل داود على نفسه (راجع ١صم ١٨)، ومثل محبة النبي هوشع لزوجته الزانية، وعودته إليها لكي يرفع عار زِناها (راجع هوشع الإصحاحات من ١ إلى ٣) .. وهؤلاء جميعاً كانت لهم المحبة التي تخلق الرابطة الأقوى مِن رابطة الطبيعة، وتجعل المعرفةَ خادمةً للمحبة، وليست السيد الذي يسود على قوة الإدراك والتمييز.

وهكذا عندما تتطور العلاقة بواسطة المحبة تتغير معاني الألفاظ، فالبنوة الطبيعية بالولادة تصبح مختلفة عن البنوة بالتبني، رغم أنَّ كلاهما يوصف بإسم البنوة، وعندما جاء الرب يسوع ببشارة الحياة (إنجيل الحياة) حَوَّل معاني الكلمات الحسية، وأعطى لها المضمون الروحي، وخلق لها الرموز التي تعبِّر عن النعمة، وهكذا نقل التبني من معناه الحسي إلى معناه الإنجيلي، ومِن الولادة الجسدانية إلى الولادة الروحانية، وقد فعل هذا عندما وُلِدَ هو بالجسد ولادةً روحانيةً، أي بالرُّوح القُدس لكي يُشرك الرُّوح القُدس في تكوين الخليقة الجديدة.

منطق المحبة كما سلّمه لنا الرسول بولس:

٩- وهذه هي قواعد منطق معرفة المحبة كما قدَّمها رسول المسيح في إيجازٍ شديدٍ قائلاً: "**المحبةُ تتأنى**" (١كور ١٣: ٤)؛ لأنها تتطلع إلى المستقبل مثل محبة الأُم التي تغسل قذارة الوليد العاجز، وتأمل أنها سوف تراه رجلاً كبيراً نافعاً، ولذلك تراه بعين المحبة، وفي رجاءٍ تعتني به .. وهنا، أناةُ المحبةِ، هي منطقُ المحبةِ؛ لأن المحبةَ ترى المستقبل، ليس كما يراه الفلاسفة .. ولو قالت الأُم: وكيف أعرف أنه سيكون رجلاً فاضلاً؟ .. ربما صار لصاً أو قاتلاً، وربما قتلني أنا نفسي، ووضَعَتْ الشكوك العاقلة مكان الرجاء في المستقبل، وسادت على أفكارها الشكوك، تحوَّلت المعرفة إلى قوةٍ تقتل المحبة، وتُفسِدُ الرجاء وتُضَيِّع طول الأناة.

تغذي المحبةُ الفكرَ بالرجاء، وتجعل الرفق والحنان هو جوهر الإدراك لا سيما عندما يكون إدراك الطفل أو الصبي قليلاً، أوعندما يعجز عن الفهم؛ لأن رفق المُعلِّم هو مثل رفق الأُم يرى المستقبلَ برجاءٍ في نمو العاجز، وكمال المعرفة الذي ينمو قليلاً قليلاً مع الأيام.

ويقول الرسول "**المحبةُ لا تحسد**" (١كور ١٣: ٤)، ونحن نقول إنَّ "**الموتَ دخل إلي العالم بحسد إبليس**" (سفر الحكمة ٢ : ٢٣،٢٤، وصلاة الصُلح).. والحسد هو شهوة التسلط التي تريد أنْ تنال ما ليس لها، وهو الرغبة في أنْ نُزاحم الآخرين، ونُصبح مثلهم، فإذا عجزنا عن ذلك تحوَّل الحسد إلى بئرِ شرٍ يفيض بالمرارة والإنشقاق .. وكم زرع الحسدُ مِن أشواكٍ حتى بيننا نحن الذين نلبَس صليب ربنا يسوع المسيح الذي بالصليب قتل قوة الحسد عندما قَدَّم ذاته لأجلنا .. والمحبة لا تحسد، لأنها تُعطي، وعندما تُعطي، فهي "**لا تتفاخر**"، وهي كما يقول

الرسول لا تتعظم ولا تتعالى، وهي كذلك **"لا تنتفخُ بالعلم الباطل"** (١كو ١٣ : ٤) .. لا تنشر السيئات، ولا تجد في سقطات الناس وخطاياهم سوى الحزن والدموع، ومَنْ لا يبكي على خطايا غيره هو أصلاً لم يعرف كيف يبكي على خطاياه، ومَن لا يعرف خطاياه، بل ويشتاق لمعرفة خطايا الناس هو غريبٌ عن ملكوت الله؛ لأن الله الذي يتأنَّى علينا لا يعاملنا حسب خطايانا، وهو يترفق بنا إذ يرى فينا ملوكاً وورثةً لملكوت محبته مع إبنه يسوع المسيح وبه.

ويُكوِّن الحسد منطق البغضة والعداوة، ويضع له القواعد العقلية المقبولة، والتي تدور كلها حول تفضيل الذات على الآخرين. وهكذا يكشف الصليب عن منطق الحسد؛ لأن الحسد لا يمكن مصالحته مع البذل، بل يقتله البذل بقوة صليب ربنا يسوع المسيح. وهكذا تغرس فينا العداوة قواعد فكرية وعقلية نظن أنها صالحةً وجيدةً.

١٠- فما هو منطق المحبة الذي لا يسير بالمرة مع منطق المعرفة والعلوم؟ والجواب هو مِن كلمات الرسول نفسه، إذ يقول: **"المحبةُ لا تطلب ما لنفسِها"** (١كو ١٣ : ٥)، ولا تترك حقها مطلقاً، لأنها لا تستطيع أن تكُف عن العطاء، وإذا تركت حقها، فقَدَت جوهرها، وهي لا تتباطأ، بل تندفع بقوة العطاء عابرةً موانع حقوقها، لأن حق المحبة هو في العطاء، أمَّا حق المعرفة غير المولودة مِن المحبة، فهو أنْ تأخذ، ولذلك فهي **"تحتدُ، وتظُن السوء، وتفرحُ بالإثم"**، أي عكس ما يذكره الرسول عن المحبة، فهي **"لا تحتد"**، بل تتأنَّي، تعرف الحق تماماً، ومع ذلك **"لا تظُن السوء"**، وعندما ترى الإثمَ تبكي على الخسارة، وتشتعل بالرغبة في ستر العيوب، وهي لذلك **"تحتمل كل شيء"** كما إحتمل القديس مكاريوس خطيةُ زانٍ، وجلس على الماجور الذي خبَّأ فيه زانيةً، لكي لا يكشف عار غيره.. أو مثل

موسى الأسود، الذي حمل كيس الرمل على ظهره، وترك الرمال تسقط مِن ثقبٍ فيه، وقال إنَّ خطاياه تسير خلفه، ورفض إدانة غيره .. هؤلاء كانت لهم المحبة، ولذلك لم تكن ممارسة التواضع صعبةً عليهم.

وهكذا يظهر لنا منطق المحبة على هذا النحو:

١- البراهين العقلية التي ترفض أنْ تجعل للشك سيادةً على الفكر، ولذلك تبحث المحبة دائماً عن أعذارٍ تقدمها للساقطين ورجاءٍ لليائسين، وترفض أنْ تحكم لأنها مصدر الرجاء.

٢- الأدلة الدامغة على الشر والخطية تصبح مصدراً لنا في الرفق؛ لأن المحبة ترى الشر، ولكنها تراه بشكل يختلف عن رؤية الحسد، فهي لاتخاف الشر كما يخافه الحسد، ولذلك تترك الشر يحرق نفسه، وهي أي المحبة هي الحياة التي تتشبه بمن هو الحياة والمحبة، أي الآب السماوي، ولذلك السبب تؤمن بالإنتصار على الشر.

١١- لِنحترس أيها الإخوة الأحباء لئلا تكون المعرفةُ التي في قلوبنا معرفةً مولودةً مِن كبرياء الفِكر، أو أنْ تكون معرفةٌ نافعةٌ، ولكنها خاصةٌ بالأُمور المادية والمنظورة .. ياليت الرب يجعلنا نجلس عند قدميه، لكي نتعلم منطق محبة يسوع وقواعدها الأبدية السماوية التي سوف تدوم معنا في هذه الحياة، والحياة الآتية.

منطق محبة يسوع:

١٢- هو جاء إلينا عندما لم نكُن نفكر فيه، أو نطلبه.

هو مات لأجلنا، لأن قضية الموت لا يحلها إلاّ الخالق.

هو أعطانا كل ما له، حتى جسده ودمه، لأن محبته لا تقف عند حدودٍ ..

كل هذا وغيره، الذي أخذناه في يسوع المسيح، له منطقٌ خاصٌ به..

أولاً: جاء الله، وإفتقدنا مثل نورٍ يُشرق في الظلمة .. هذا هو منطق محبة يسوع الذي لا يمكن أنْ يُنكر جوهره، أو يغيِّر طبيعته رغم شرور الإنسان..

ثانياً: مات لأجلنا، فعندما كانت كل وسائلنا عاجزةً عن رد الحياة إلينا، تطوع هو حُراً واختار الصعب مِن أجل غايةٍ عُظمى، و لم يفصل بين الوسيلة والغاية، بل جعل الوسيلة والغاية واحداً بالعطاء، وهكذا جمع الوسيلة والغاية معاً في الصليب؛ لأن الصليبَ وسيلةٌ، والقيامةُ هي الغاية، ولا يمكن فصل هذا عن هذه.

ثالثاً: لم يحفظ لنفسه شيئاً، بل جعل كل شيءٍ يملكه - مهما كان - عطايا تُعطَى بالشركة فيه، وبالإتحاد معه وبه، وجعل الهبة والواهب واحداً كما جعل الوسيلة والغاية واحداً.

نحن لا نُصبح مسيحيين بالكلام، بل بالشركة في حياة المسيح، في بنوته للآب، وفي قوة قيامته، ومجد ملكوته .. هذه ليست كلماتٌ تقال، **بل حياةٌ يسكُبها إبن الله فينا بقوة وعطية الرُّوح القُدس.**

فماذا إذن تعني قواعد منطق محبة يسوع؟

هي تعني أنَّ الأمانة والوفاء وسائر ما يندرج تحت هذه الكلمة "**الأمانة**"، هي أمانةُ طبعٍ، وصدقُ جوهرٍ، وولاءُ حياةٍ .. هذه تنبع مِن الداخل، مِن الطبيعة الفائقة التي لا تتبدل مهما كانت الظروف .. هذه هي أمانة المحبة؛ لأن الشيطان يوصَف بأنه "**دائم**

التغيير" [(١)] .. أمَّا الرب، فهو ثابتٌ لا تحركه شرور الإنسان، وتجعله ينسى جوهره، ولا يمكن للشر مهما كان أنْ يجعل ا لله ينزل عن طبعه، ويتحوَّل إلى شيءٍ آخر.

ووسائل ا لله لا يمكن أنْ تنفصل عن غايته، فهو لا يختار وسيلةً غريبةً عن الغاية، حتى إنه عندما يؤدِّب، إنما هو يجعل التأديب خسارةً لما هو مؤقتٌ مثل الصحة أو المال لكي يكسب التائب الحياة الباقية.

ولقد جاء الربُ لكي - بالشركة - نتعلم منه وبه كيف سنحيا معه، ليس هنا على الأرض فقط، بل في الحياة السمائية أيضاً.. فهو لا يُعطي أشياءً زائلةً، ولا يُعطي "**فُتات الخُبز**"، ولا يُقدِّم عطايا أرضية، .. بل يُعطي حياته .. هذا هو منطق محبة يسوع، وهو الباب الوحيد الذي يقودنا إلى تأمل جوهر الثَّالوث القدوس إلى أن نُدرِكه على قدر ما تحتمل عقولنا.

---

(١) يؤكد مار افرام السرياني إنَّ "سطا" أو "شطا" هي فعل آرمي يُقرأ سطا أو شطا حسب اللهجة الآرامية. ويقول في النشيد ٥٤ : فقرة ٩ من أناشيد نصيبين:

"يا شيطان أنت دائم التحوُّل عن طريق الحق.

أنت الذي حوَّلت آدم البائس بالغواية"

وجاء نفس المعنى في نشيد الفردوس ١٥ : ١٦. وجاء في التفسير اليهودي القديم المعروف بإسم: Numbers Rabba "الشيطان من شطا أي تحوُّل" فقرة ٢٣: ٢٠. ودخلت اللغة العربية كلمة شطط، أي مبالغة وإنحراف نحو الخيال الواسع غير المنضبط، كما يقول قاموس اللغة العربية للأُستاذ Lane مجلد ١٠ ص: ٣١٨.شطط من شطا. آرامية تحوُّل. ولذلك، فالتحوُّل الدائم دون هدف، أو إختيار هدف آخر غير ا لله، هو حياة الشيطان نفسه.

منطق محبة يسوع، وعقيدة الثّالوث:

١٣- عندما يُعلِن ا لله عن نفسه، فالإعلان لا يُعطى على قدر إحتياجات البشرية فقط؛ لأن الإعلان عن الذات، هو إعلانٌ كاملٌ لكل أجيال البشَر. وإحتياجات البشَر تختلف، بل تتغير.

لقد أعلن ا لله عن حياته، وهو ما نقصده بعبارة **الجوهر الواحد**، أي الحياة الواحدة التي لا إنقسام فيها .. مَنْ ينزل إلى حفرةٍ لكي ينقذ إبنه، لا يفقد كرامته ومكانته، بل يصبح عظيماً قوياً؛ لأنه أنقذ حياةً. وهكذا جاء إعلان الحياة الواحدة مِن أجل حياتنا نحن؛ لكي نتعلَّم مِن ا لله كيف نحيا؟ ... ويختار الذين يطلبون الحياة، عطية الحياة مِن المسيح، لكي بالحياة التي عاشها هو يُدرِكون وحدة جوهر الثّالوث الآب والإبن والرُّوح القُدس.

وكما قلنا إنَّ منطق المحبة هو أنها **"لا تطلب ما لنفسها"**، فأين إذن يقف الإعلان عن الذات وعن سِر المحبة نفسه؟ ما هي الحدود التي يقف عندها الإعلان؟ الجواب؛ لا حدودٌ - مهما كانت - تقف أمام العطاء، أو تحدُّ مِن العطاء .. وهكذا كشف لنا الرب عن العطاء، ورفع غطاء السِّر الإلهي عن ذاته، وأعلن في ذاته أُلوهيته وأُلوهية الآب وأُلوهية الرُّوح القُدس لاهوت واحد في إعلان واحد.

وكما قلنا، إنه هو الذي جاء إلينا، وكشف بذلك عن محبته .. فكيف يجيئ إلينا بدون جسدٍ، وإرادةٍ، وعقلٍ، أي بدون نفسٍ بشريةٍ؟ .. كيف يقف المُحب أمام محبوبه بشكلٍ لا يراه ولا يعرفه به؟.. فلو جاء في شكل مُحاربٍ، أو ملكٍ، أو أي شكلٍ آخر، فهذا الشكل لابد وأنْ يتفق مع جوهره، ولأن جوهر ا لله هو المحبة،

أخذ الناسوت لكي يُعلِن فيه أُلوهيته وأُلوهية الآب والرُّوح القُدس .. **وعندما جاء إلينا ترك للروح القدُّس تكوين جسده البشري في أحشاء البتول .. ولم يأخُذ ناسوته مِن أبٍ بشريٍ، بل مِن الآب، أي بإرادة ومسرة الآب لكي نعرف نحن البشر كيف يتم التبني بالمحبة، وبدون الإرادة الجسدانية؟** هكذا وُلِدَ الرب بدون إرادة آدم، أو الجنس البشري لكي يصبح الناسوت مُتَّحِداً مع لاهوت الإبن الوحيد، **ويُصبح وهو في الجسد الإبن الوحيد للآب الذي لا يوجد له آبٌ آخرٌ غير الله، وحدَّد بذلك المصير الذي سيؤول إليه كل إنسان، لأننا نحن سوف ننتهي بعد ولادتنا مِن الوالدين إلي أنْ يكون كلٌ مِنّا إبناً لله "حسب الرُّوح" الذي كوَّن ناسوت الإبن في أحشاء البتول** .. وهو المثال الذي نسير نحوه، وبه نصير معه لكي يكون هو البِكرُ بين إخوةٍ كثيرين (رو ٨ : ٢٩).

١٤- وبتجسُّد الإبن مِن البتول، أدركنا أنه إبن الآب .. وبميلاده وحياته أدركنا علاقته بالآب مِن التعليم، ومِن المعجزات، ومِن العطايا، ومِن شركة الرُّوح القُدس الذي عمل معه منذ أنْ تكوَّن ناسوته في أحشاء البتول. أعلن الإبنُ بتجسده، وبشركة الرُّوح القُدس - في خدمته - وحدانية جوهر اللاهوت بواسطة الشركة في العمل الواحد، والتي بها نُدرك وحدانية الجوهر والشركة الأزلية قبل خلق العالم، وأنها هي الينبوع الذي منه جاءت البشارة، أي بشارة الحياة.

١٥- وبحياة الإبن المُتجسِّد بيننا، أدركنا أُلوهيتهُ مِن معجزاته، وأنه قادرٌ على أنْ يَرُدَّ الحياة للموتى، ويغفر الخطايا، ويشفي المرضى .. ولما نزل بإرادته إلى حُفرة الموت، قام مِن الموت، وأباد قوة الموت بموته، وداس قوة الهاوية، أي ظلام الموت. وهكذا علمَنا الإبن أنه جاء مِن عند الآب، وأنه مُسِحَ بالرُّوح القُدس

وأعلنت القيامة شركة الآب والرُّوح القُدس في هبة الحياة الجديدة التي لا تموت.

١٦- وعلمَنا أنَّ إرادته هي ذات إرادة الآب، وإنه بالرُّوح القُدس يُخرِجُ الشياطين، ويصنع المعجزات، بل قد وَهَبَ هذه القوة للرُّسل القديسين، وصارت لنا بشارةً واضحةً؛ لأن الآب والروح يشتركان مع الإبن المُتجسِّد في كل شيءٍ يقوله ويعمله دون أنْ يتجسَّد الآب أو الرُّوح القُدس، بل تجَسَّدَ الإبنُ وحده، وقد أكد لنا هذا تمايُز الثَّالوث. فالآب أرسل الإبنَ، والإبنُ تجَسَّدَ مِن الرُّوح القُدس الذي كوَّن جسده في أحشاء البتول، ثم مَسَحَهُ عندما إعتمد في الأردُن، وهكذا تحققنا مِن إنَّ الله واحدٌ في ثالوث قبل أنْ يُعطي لنا الإبن هذه الوصية، ويعلمنا له المجد هذه الحقيقة بقوله "**إذهبوا إلى العالم أجمع واكرزوا بالإنجيل للخليقة كلها**"(مت ١٠ : ٧ - مر ١٦ : ١٥)، ثم "**وعمِّدوهم باسم الآب والإبن والرُّوح القُدس**"(مت ٢٨ : ١٩).

كلمة "الأقنوم" هي مفتاح الحياة الجديدة:

١٧- إذا كُنَّا قد تحدثنا عن منطق المحبة، ومنطق محبة يسوع، فإننا يجب أنْ نشرح الآن الأسباب التي لأجلها إستعمل الآباء القديسون كلمة "**أُقنوم**"، فهي تعني **أوَّلا** ما هو كائنٌ، وله وجودٌ حقيقيٌ.

ثانياً كما تعني، الكائنُ الذي نُدرِك وجوده وحياته مِن خِلال علاقته بغيره الذي يشاركه ذات الطبيعة.

فعلى سبيل المثال: بطرس ويوحنا ويعقوب وبولس، أربعة أشخاص .. كلُّ منهم له أُقنومٌ خاصٌ به، هو الكيان أو الشخص الذي يحمل الإسم الخاص به، ولكن بطرس ويوحنا ويعقوب وبولس يشتركون معاً في طبيعةٍ واحدةٍ، هي الطبيعة

الإنسانية، أي الإنتماء إلى الجنس البشري الذي له طبيعة واحدة هي الطبيعة الإنسانية، ولا نستطيع أنْ نقول إنَّ بطرس إنسانٌ، إلاّ إذا رأينا فيه صفات الطبيعة الإنسانية مثل الإرادة الحُرة والإدراك والحياة والحركة، ولذلك نقول إنَّ بطرس هو أُقنومٌ مُتمايزٌ عن يوحنا بما له مِن صفاتٍ إنسانيةٍ خاصةٍ، توجد في بطرس ولا توجد في يوحنا، ولكن رغم تمايزهما إلاّ أنَّ كليهما إنسانٌ.

١٨- وعلى نفس القياس - مع الفارق - نقول إنَّ الإبن هو أُقنومٌ إلهيٌّ يتمايزُ بصفةٍ واحدةٍ هي البنوة، وإنه إلهٌ؛ لأنه مثل الآب في كل شيءٍ، وله كل صفات الآب، وأعلن لنا أُلوهيته كإبنٍ، لكي نُدرِك مِن بنوته أنه مُتمايزٌ عن الآب، وكذلك الرُّوح القُدس، فهو له صفة التقديس، والتقديس هو عمل الرُّوح القُدس الذي يجعله مُتمايزاً عن الإبن، وبه نفهم ونُدرِك أُلوهيته؛ لأنه مُتمايزٌ عن الآب والإبن. والآب له صفة الأُبوة، فهو أُقنوم الأُبوة في جوهر اللاهوت، وهو الذي به يقوم الجوهر الإلهي كمصدرٍ، أو ينبوعٍ للحياة الإلهية التي تصلنا مِن الآب بالابن في الرُّوح القُدس.

١٩- وهكذا فتح الآباء لنا باب الحياة الجديدة، بإتقان وسيلة التعبير عن سِر الحياة الإلهية بإستخدام كلمة أُقنوم **كمفتاحٍ للحياة الجديدة**، لأنها تفتح لنا باب المعرفة، أي المعرفة التي تُولَد مِن المحبة، والتي تختلف عن محبة المعرفة التي قد تُودي إلى الهلاك. وقد فتح لنا الآباء هذا الباب لكي بمحبةٍ، ندخل به ونُدرِك أسرار المحبة، لا أسرار جوهر الله؛ لأننا لا نقدر أنْ نُدرك أسرار جوهر الله، بل نُدرك فقط ما تُعلنه لنا المحبة عن جوهر الله، ومَنْ يُدرك أسرار المحبة، ويُمارس المحبة لا يتعثر، أمَّا مَنْ يُحاول، بالفضول وبشموخ الفكر أن يدخل هذا الهيكل المقدَّس، فإنه

سريعاً ما يخرج حاملاً معه كل تناقض الفكر وعجزِهِ.

٢٠- تأمل سِر المحبة، كيف تُعطي وتبذل؟، فهي تُعطي أعظم ما تملك، وهكذا أعطانا الآب، ليس فقط إبنه، بل إبنه "**الوحيد**"، "**الحبيب**"، فهو لم يبذل شيئاً، ولا قدَّم لنا آخراً لا يخصه، بل قدَّم لنا أعظم ما عنده، الإبن الذي مِن جوهره، والمُساوي له في كل شيءٍ. و لم يأتِ الآبُ إلينا بدون الإبن، بل جاء بإبنه لكي يُعطي أعظم ما عنده، والذي يقول عنه القديس يوحنا "**الكائن في حضن الآب**" (يوحنا ١ : ١٨). وجاء إلينا لكي يُعطي لنا بشارة التبني، وهي بشارةٌ تؤخَذُ بالشركةِ، ولا تُؤخَذُ بالكلام. وكما سبق وقلنا، **إنَّ الشركة هي منطق محبة يسوع**، ومَنْ أراد أنْ يصير إبناً لله، مثل الإبن الوحيد، فهو لا يتعلم ذلك بالقول وحده، بل بتحوُّل الطبيعة الإنسانية مِن طبيعة عبدٍ إلى طبيعة إبنٍ بالنعمةِ، وهو تحوُّلٌ يتم فينا بالإيمان، وبالإتحاد بأُقنوم الإبن المُتجسِّد الذي يفتح لنا نعمة الشركة في بنوته، ويجعلنا فيه وبه أبناء لله الآب، ولذلك تجسَّد لكي يُؤسِّسَ عطية التبني، وهي العطيةُ التي أراد ا لله أنْ يعطيها لنا في إبنه، ولذلك تجسَّد لكي يكون مثالاً ظاهراً للبنوة، ومنح لنا شركةً نتعلمُ فيها منه كيف نحيا، ونُصلي، ونموت، ونقوم كأبناءٍ للآب السماوي؟

٢١- إنَّ فرح الخليقةِ الجديدةِ، هو فرحٌ بالثَّالوث القدُّوس الذي فيه عادت الخليقة المتنوعة من التباعد إلى الوحدة، وإلى حدودها الجديدة التي رسمها الإبن، وإلى قوام حياتها الأبدية بعطية الآب، أي الرُّوح المحيي رب الخليقة الرُّوح القُدس الذي منه تأخذ الخليقة الجديدة ثباتها في التقديس، ولقد رَسَمَ الإبن هذه العودة بتجسده الذي فيه إتحدت طبيعتان، كلٌ منهما من أصلٍ مختلفٍ وجوهرٍ مختلفٍ عن

الآخر، أي اللاهوت والناسوت، فزرع بهذا رسم العودة من خلال مصالحة اللاهوت مع الناسوت بتجسده، ومن خلال الوحدة التامة لأُقنومه الإلهي المتجسد. هذا الرسم[١] يصل إلى كماله عندما يُرفع الموت والفساد من الطبع الإنساني بعد أنْ يقابله على الصليب وفي القبر وفي الجحيم، فيُبطل بذلك كل أسباب التباعد والإنقسام التي دخلت إلى الطبيعة الإنسانية مع الخطية وتأصلت فينا بسبب الموت.

لقد عُدنا مِن الإنقسام والتشتُتِ إلى فرح الوحدةِ في ذاك الذي رُفِعَ على الصليب لكي يجمع "**المُتفرقِين مِن أبناء ا لله إلى واحدٍ**" (يو ١١ : ٥٢) بسِر الصليب، أي سِر البذل الذي فيه نعود مِن عُزلة الخطية إلى شركة البذل. وبالرُّوح القُدس الذي "**يأخُذ مِن الإبن**" ويُعطي لنا رسم حياة الإبن المُعلَّقة على الصليب، والذي بالصليب ينير سِر الموت، لأن الصليب "**أنقذ الموتَ مِن دمار البُطلِ**" وحوَّله إلى قوة تجديد للجسد، لأننا بالموت ندوس قوانين الطبيعة القديمة، وننطلق إلى حياةٍ جديدةٍ بالقيامة.. لقد حَوَّل الصليب موت الجسد إلى تجديدٍ للجسد، وحرر الإنسان مِن وهم البقاء حسب فكر الأب الأوَّل الذي أراد إنْ يكون إلهاً لا يَمَسُّه شيءٌ (تك٣ : ٥)، ولا ينقُص منه شيءٌ، بل يبقى إلى الأبد على رسم الأُلوهة الكاذبة، أي تلك التي لا تُعطي، خوفاً مِن العطاء، ولا تأخُذ بسبب عزةٍ زائفةٍ زرعتها الكبرياء.

كيف طلب ذلك الإنسان، الخلود بدون نعمة ا لله وبدون صورته؟ هذا ما يجعلني أرتجف كُلّما وجَدْتُ نفسي بعيداً عن فكر المسيح، لئلا أُصبحُ صورةً

---

(١) حسب ترجمة نيافة الأنبا مكسيموس أُسقف القليوبية المتنيح لكلمة ⲧⲩⲡⲟⲥ.

لذاتي، وعند ذلك أجد أن أصل كياني هو في العدم الذي منه جاءت كل الخليقة، حتى طغمات ورُتب السماء.

٢٢- لقد جرد الله، الأب الأوَّل مِن نعمة البقاء إلى الأبد حسب الصورة الإلهية؛ لكي يُدرك أن الوجود لا يصل إلى غايته إلاَّ بالشركة، لأن الوجود حسب الشركة ليس مثل الوجود حسب الإنفصال عن الله، وإن الوجود الزائف الذي إرتضاه آدم هو وجودٌ كاذبٌ، جذرهُ في العدم، وجذعه في الخطية. وعندما دخل العدم في فكر الإنسان، سَمَحَ الربُ بموت الأب الأوَّل، لكي لا يبقى في العدم إلى الأبد. وَهَبَهُ الموت، لكي يعتقه مِن الخطية، ووهبه البقاء في الجحيم إلى أن يُشرق عليه نور الخلاص عندما يسبي الرب - آدم الجديد - الأَسرى والهالكين، وينزع أنياب الهاوية.

لقد جاء السقوط بخلل في الشركة، واختفت الإلفة من الخليقة، ودخل الموت إلى العالم بالخطية، والخطية بحسد إبليس (حكمة ٢ : ٢٤).

٢٣- لقد عُدنا بالإبن إلى تعدُّد الخليقة الأولى، ذلك التعدُّد الذي - بسبب الإنقسام، الذي جاء مع الخطية - فقدت فيه الخليقة الوحدة، وصار صراع الطبائع هو العنصر المُميِّز للخليقة، ولكنه الآن - بالمسيح - صار لنا تنوع الوحدة بعد أنْ قضى الموت - الذي جاء مع الخطية - على الفرح بالتنوع، وحوَّل الخوف مِن الموتِ التنوعَ إلى مجالٍ لممارسة التسلط الذي دخل مع الخطية، وأهلك وحدة الخليقة. لقد كان تعدُّد الخليقة بركةً دائمةً، ولكن دخلت الخطية لكي تحوِّل تعدُّد الخليقةِ إلى تناحرٍ ونزاعٍ مِن أجل البقاء. وهكذا أفسد الموتُ، الحياةَ، وحَوَّل الموتُ فرح التعدُّد إلى حزنٍ وخوفٍ. فجاء الإبن لكي يحررنا مِن فساد الموت، وذلك

عندما حوَّل الموتَ بقوة قيامته إلى قوة تجديد. وعندما تجسَّد، و"سكن بيننا" كإنسانٍ حوَّل كل الخليقة إليه لكي تتحول فيه، أي تحت سيادته كمخلصٍ، وكخالقٍ إلى بدايةٍ جديدةٍ.

٢٤- عندما تجسَّد ربُ المجدِ، نزل طواعيةً إلى صورة العبد، أي الصورة الإنسانية الساقطة. وحدث أمرٌ عجيبٌ، فقد أخذ الطبيعة الإنسانية الخاطئة دون أنْ يُخطِئ. أخذ الفاسد القابل للموت، ولم يتسلط عليه الفساد أو الموت. جاء التجديد مِن حيث حدث السقوط، ونبع نهر الحياة في أرض الموت، أو كما يقول النبي "**الشعب الجالس في الظلمةِ أبصر نوراً عظيماً، والجالسون في كورة الموت وظلاله أشرق عليهم نورٌ**" (أش ٩ : ٢).

في آدم فَقَدَ الجنس البشري هيبة المَلِك، وتحوَّلت صورة الله إلى عبدٍ، لأنه حقاً قِيل لِمَن أخذ هذه العطية "**ترابٌ أنت، وإلى التراب تعود**" (تك ٣: ١٩)، ولم يَعُد ذلك الذي وُهِبَ سلطاناً على كل المخلوقات، يسود عليها، بل تحوَّل إلى مُنازِعٍ ينزعُ قُوتَ يومه مِن الأرض، ويأكل ما يمكن أنْ ينزعه .. ففقدت الخليقةُ سلامها.

٢٥- تجسَّد إبن الله في هيئة العبد وصورته، وأخذ شبه الحياة الإنسانية؛ لأنه ظل قُدُّوساً بلا خطية، وحمل هذه الصورة لكي يُطهِّرها وينقلها إلى صورة مجده وقداسته، ليس بتحوُّل الطبيعة الإنسانية إلى طبيعة إلهية [1]، بل بتحوُّل المعرفة

---

(١) المقصود مِن هذه العبارة إن إتحاد اللاهوت بالناسوت لم يُحوِّل الناسوت إلى طبيعة مقدسة بمجرد الإتحاد بها، بل أيضاً بالحياة والمعرفة التي كانت لإبن الله المتجسد، (وأمَّا يسوع فكان ينمو

والإرادة الإنسانية التي لم تعُد بعد تحيا مستقلةً ومنفصلةً عن ا لله، بل صارت متحدةً حيةً مقدسةً في أُقنوم الإبن، ولما صار في صورة العبد، حَوَّل هذه الصورة مِن الداخل إلى صورته الإلهية، ووحَّد الصورتين، فلم تعُد صورة ا لله التي وُهِبَتْ عند خلق آدم الأوَّل، صورةً غريبةً مُوحِشةً، بل صورةً متناسقةً مع صورة الإبن. عند ذلك تهللت الخليقة بعودة سيِّدها آدم الجديد، وعاد "**الرأسُ**" إلى سلطانه، ولذلك مشى على المياه، وبارك الخُبزات، وحَوَّل الماء إلى خمرٍ، وأدخل السمك في شِباك بطرس، وبذلك أظهر سلطان آدم القديم على الخليقة، وأعطَى له ما هو جديدٌ، أي إقامة الموتى، وكل ذلك بالشركة التي لا انفصال فيها، بعد أنْ دمر الإنفصال ما هو إلهيٌ فينا بواسطة الإرادة العاصية الشريرة التي سقطت وبواسطة معرفة الشر.

الثَّالوث، والخليقة:

٢٦- لِنفرح بالثَّالوث خالقنا، لأن كل الأشياء تأخُذ وجودها وحدود طبعها (طبيعتها) مِن الآب، وشكل ورسم كيانها مِن الإبن، وحياتها مِن الرُّوح القُدس. عملٌ واحدٌ بإرادةٍ واحدةٍ، ونعمةٌ وهبةٌ واحدةٌ للثالوث القدُّوس.

٢٧- لِنفرح بالآب الذي يُعطي لنا الوجود، وبالإبن الذي به نتجه نحو غاية وجودنا، أي الراحة والفرح الأبدي في ا لله، ولِنفرح بالرُّوح القُدس الذي يرسم حياتنا ويُدبِّر الذين يلتصقون به، ويقودهم برفق نحو التقديس.

في الحكمة والقامة عند ا لله والناس، لو٢ : ٥٢) لأن الخطية حولت آدم إلى الموت، أمَّا قداسة آدم الجديد فهي تحوُّل المائت إلى حياة.

٢٨- ونحن نأخذ الوجود، أي كيان حياتنا وجوهرها مِن الآب، **فهو يُعطي** لنا هذه العطية بواسطة إبنه الكلمة الأزلي لكي نصبح مثالاً للإبن، أي صورةً لِمَن هو "**مولودٌ قبل كل الدهور**"، فهو الذي يأخذ كيانه مِن الآب، ذات الكيان، وذات الحياة، ومِن ذات الجوهر، حيث لا يوجد أعظمٌ وأحقرٌ، وصغيرٌ وكبيرٌ، بل الكلُ واحدٍ ومتساوٍ. وعندما نقول أنه يأخُذ، فنحن نعني أنه مثل مياه الينبوع تُولَد دون أنْ تنفصل، وتتدفق دون أنْ تترك مصدرها.

٢٩- وهكذا حدَّد الآباء الإيمان بقولهم "**مولودٌ غير مخلوقٍ**" وأكَّدوا بذلك أزلية الإبن.

أولاً: لأنها حقٌ.

ثانياً: لأن هذه الأزلية هي قاعدةُ بقاء المؤمنين في حياة الأبد، فالإبن يأخذ كيانه الأزلي مِن الآب، لكي يُعطي لنا الوجود والبقاء الأبدي الذي نأخذه منه على رتبة ورسم التبني.

٣٠- وبقولنا "**مولودٌ مِن الآب قبل كل الدهور**"، نكون قد حددنا، ليس فقط أزلية الإبن وأُلوهيته، بل أيضاً ضمان الخلاص الأبدي، كعملٍ إلهي مِن الآب بالإبن، ويوُهَب لنا في أُقنوم الرُّوح القُدس، ينبوع كل الخيرات، و"**كنز كل الصالحات**" (راجع قطع صلاة الساعة الثالثة).

٣١- لا وجود للصلاح والخير خارج ا لله، ولا وجود لعطاءٍ، مهما كان نوعه إلاّ الذي مِن ا لله مباشرة، أو بإرادته الخالقة أو قوة كلمته الفاعلة في الخليقة. فالأمطار لا تسقط إلاّ بقوة كلمة ا لله الخالقة، والأفلاك تتحرك بإرادته، أمَّا الحياة

الأبدية، فهي ذات الحياة الإلهية التي لنا في الآب، وأُعلِنت لنا في يسوع المسيح، وهي ليست مثل الأمطار أو الطعام أو حركة الأفلاك والأجرام السماوية، فهذه كلها بإرادة الآب، وهي كائنةٌ خارج جوهر الله، وغريبةٌ عن طبعه الإلهي؛ لأنها مخلوقةٌ، أمَّا شركتنا في الآب بإبنه ربنا يسوع المسيح، فهي شركةٌ في علاقة الإبن بالآب، وهي عطاء صلاح الطبع الإلهي نفسه، وخير المحبة الإلهية نفسها. نحن لا نشترك في الله كما نشترك في خيرات الأرض، بل نشترك في اللاهوت مِن خِلال الإبن الوحيد ربنا يسوع المسيح.

يقول الرب إنه يُشرِق شمسه على الأشرار والأبرار (متى ٥ : ٤٥)، ولكن النور الحقيقي الذي يُضيء لكل إنسانٍ آتٍ إلى العالم (يوحنا ١ : ٩) ليس مثل نور الشمس، لأن نور الشمس هو نورٌ مخلوق لا يدوم، أمَّا النور الأزلي الذي أشرق لنا بمحبة الآب هو نورٌ أزليٌّ لا يغيب، وعندما رسم الإبنُ الطبيعةَ الجديدة للإنسانية الجديدة، وكما قلنا إنه جمع في أُقنومه الإلهي ما هو مختلف تماماً حسب جوهره، أي اللاهوت والناسوت، جعل الإبن له المجد من ذلك الإجتماع، الينبوع الحقيقي لكل نعمة وهبة، فقد حدث إتحاد فائق لم يفقد فيه اللاهوت جوهره، ولم يتحول الناسوت إلى طبيعة أُخرى، بل نال غنى ومجد وكرامة اللاهوت لكي يؤهِّل الإنسانية الجديدة إلى قبول الثالوث. وقد تم ذلك حسب نعمة الله الوافرة؛ لأن بقاء الناسوت حسب حدود ورسم الناسوت، هو بقاء التمائُز بين الله والإنسان كقاعدة أبدية للشركة. وغنىَ الناسوت بحياة وكرامة ومجد اللاهوت هو علامة شركتنا الأبدية في غنى وحياة وكرامة ومجد اللاهوت. وهكذا، يصبح التعليم بالثالوث ظاهراً ومُعلناً من خلال تجسد الإبن ربنا يسوع المسيح له المجد، فهو (أي

الثالوث) وحدةٌ مع تمايُزٍ، وشركةٌ مع بقاءِ كل أُقنوم متمايزاً، وقد أخذنا هذه الحقائق من تجسُّد الإبن له المجد، ونقلنا هذه الحقائق إلى المعرفة الأولى الثيؤلوجيا (اللاهوتية) التي رفعنا إليها التدبير.

المثال الحقيقي للوجود الحقيقي:

٣٢- بدخول الخطية إلى العالم، دخل الزيف والكذب. وبإنحلال الوجود الإنساني وسقوطه تحت سطوة الموت، فسدت المعرفة الإنسانية، وتحولت إلى معرفةٍ مزيفةٍ، لا تقوَ على إدراك الحق إلاَّ مِن خلال الإعلان الإلهي نفسه، أي الوحي المُقدَّس وكلمة الله. هكذا جاء الوحي لكي يَرُد الإنسان إلى المعرفة الحقيقية التي كانت له والمُودعة في كيانه الإنساني، والتي أشار اليها سفر الخليقة (التكوين) بكلمة واحدة وهي "**لنخلق الإنسان على صورتنا**" (تكوين ١ : ٢٦)، وكلمتي "**الصورة**" و"**المثال**"، تعني وجود ثلاث درجات للمعرفة الإنسانية:

الأولى: وهي معرفة الإنسان لكيانه وقدراته كصورةٍ لله، يرى فيها الله ويُدرِك بواسطة تأمل كيانه، التشابُه بينه وبين الخالق.

الثانية: معرفة الإنسان بما حوله مِن مخلوقاتٍ وُضِعَت لخدمته.

الثالثة: معرفة الله نفسه، وهي أعلي درجات المعرفة، وهي تختلف عن الدرجة الأولى، والثانية في أنها تُعلَن مِن الله، ولا يملك الإنسان أن يقتحمها، أو يأخذها عنوةً، أو يحصل عليها بالقدرات التي وُهِبَت له. وقد جعلنا هذه الدرجة آخر الدرجات لأنها أعظم وأعلي شأناً مِن الأولى والثانية.

٣٣- ونحن خُلقنا حسب صورة الله، لأن الله خالق كل الاشياء، وحسب

هذه الصورة لا تصل إلينا المعرفة مِن الخـارج، بـل هـي في داخلنـا. فـإذا تقدَّمنـا في معرفة الكائنات والأفلاك، فإنَّ هذه المعرفة تجد أصلها في داخلنا، أي عنصر الذكـاء وقوة الملاحظة التي وضعها ا لله فينا. وإذا تقدَّمنا في معرفة أنفسنا، فإن إلهام الرُّوح القُدس يرافق هذه الدرجة، وينقّي الذين يسألون بإخلاصٍ، لأن هذه المعرفـة تُصبح مثل إنعكاس الوجود الإنساني على كل شيء، وعلى قدر ما يعرف الإنسان نفسه، يعرف ا لله، وهذا بسبب وجود صورة ا لله فينـا، وعلى قدر نقاء تلك الصورة، تكون معرفة اللاهوت (الطبيعة الإلهية) فينا نقيةً.

ثالوثية الشركة على مستوى الكون:

٣٤- ونحن، كمثالٍ لله، نفهم مِن خلال تأمُّل صورة ا لله فينا، كيف تُولَد الأشياء وتنمو، وكيـف تتكـاثر النباتـات، وكيـف تُولَد الحيوانـات، وكيـف يُولَد البشر؟ فالولادة هي ختم الثّالوث الـذي طُبِعَ على الخليقـة المنظـورة، لكـي تُدرَك بالتأمُّل في المنظور، ما هو غير منظور. وهنا التشبُّه با لله، هو تشـبُه المثال والصـورة بالأصل، ولذلك السبب عينه لا يجب أن نسأل لماذا يُولَد الإبن أزلياً مِن الآب، لأن السؤالَ خاصٌّ بالطبيعة الإلهية الفائقة الغنية التي منها - كما يقول الرسـول - تنـال كل أُبوة وبنوة كيانها الخاص بها، لكي تُصبح مثـل ا لله، أي مثـل جوهـر الطبيعـة الإلهية وتتشبه به في الوجود والكينونة، وتنال منه سِر بقائهـا في هـذا الزمـان، وسِـر دوامها في الأبدية التي هي شركة الخلائق العاقلة في الطبيعة الإلهية. وكل المخلوقات مدعوةٌ إلى شركة مثالٍ، وشركة بقاءٍ، وشركة حياةٍ أبديةٍ.

فشركة المثال هي تشبُّه كل الكائنات المادية وغـير العاقلـة في وجـودٍ وبقـاءٍ

كمثالٍ لله. وعلى سبيل المثال تتحد العناصر الأربعة[1]، الماء والتراب والهواء والحرارة في شركةٍ لكي تمنح الحياة والنمو للنباتات والإنسان. والهواء والماء ونور الشمس، أي حرارتها أيضاً هو الذي يجعل كل الكائنات تحيا. هذه هي شركة مثالٍ، أي الإتحاد رغم إختلاف وتمايُز الطبائع مِن أجل وحدة عمل، وذلك تشبُّهاً بأقانيم الثّالوث التي تعمل معاً في وحدة واحدة.

---

(١) إهتم اليونانيون القدماء بالوصول إلي إجابات عملية للأسئلة التي تدور حول ماهية الكون، فقد توصل طاليس إلي النظرية التي تقول بأن المبدأ الأوَّل للمادة هو الماء، ثم جاء بعد ذلك أنكسيمندر المالطي، وقال بدوره بمادة واحدة يمكن أن توجد في أشكال أربعة: التراب، والهواء، والنار، والماء. ولقد وُضِعَت هذه النظريات فيما بين عام ٦٠٠-٥٥٠ ق.م تقريباً. وبعد ذلك بحوالي مائة عام قال أنبادوقليس بأُصول أربعة للمادة، أو بعناصر أربعة: هي التراب والهواء والنار والماء، وتتحد هذه العناصرالأربعة لتتكون منها الأشياء المعروفة بفعل قوتين كُلّيتين هما المحبة والكراهية. ولقد عاشت نظرية العناصر الأربعة في صورة أو أُخري قرابة ألفي عام. (أُنظر **ليزلي هوليداي: الآراء الأولى في القوى بين الذرات**-مقال منشور بمجلة عالم الفكر التي تصدر من الكويت-المجلد الثالث-العدد الثاني يوليه/سبتمبر١٩٧٢ ترجمة فتح الله خليف ص٣٠٨-٣٠٩)، ثم جاء العلم الحديث وكشف عن خطأ هذه النظرية، فعدد العناصر المعروفة حتي الآن وصل إلى ١١٢ عنصراً، يوجد منها في الطبيعة ٩٢ عنصراً، بينما لاتوجد بقية العناصر في الطبيعة لعدم ثباتها، ولكن يمكن تحضيرها صناعياً تحت ظروف معينة (العلوم وحياة الإنسان.- وزارة التربية والتعليم، ث ع ١٩٩٩/٢٠٠٠م).

يتضح من ذلك إن القديس صفرونيوس يستخدم النظرية العلمية السائدة في عصره لكي يشرح بها الإتحاد، أو الشركة فيما بين عناصر الطبيعة المخلوقة، وذلك على غرار الإتحاد القائم بين الأقانيم، الأمر الذي لايقلل منه صحة أو خطأ النظرية، لأن الأمر يتعلق بالإتحاد، لا بعدد العناصر. (المترجم).

تشبُّه الخليقة بالثّالوث يحفظ الكون:

٣٥- والتشبُّه با لله على مستوى الخليقة المنظورة غير العاقلة، هو شركةُ بقاء، لأن الكائنات إذا إنعدمت بينها الشركة إنتهى وجودها، بل إختل نظام الكون كله، وإندثرت الخليقة، وعادت إلى العدم. هذا التشبُّه بالثّالوث قائمٌ على أساس التمايُز والتنوع الذي يؤدي إلى الوحدة، فلا وجود لوحدةٍ مِن أي نوعٍ مهما كانت إذا إنعدمت الإختلافات بين الكائنات. فالماء ليس مثل التراب، والتراب ليس مثل الهواء، ولكن هذا الإختلاف يؤدّي دائماً إلى الخير والصلاح.

٣٦- وإذا إنعدم التآلف في أحوالٍ معينةٍ مثل إستخدام الماء في إطفاء النار، أو إستخدام التراب والحجارة في تحويل مسار القنوات، والتحكم في سير الماء في الأراضي الزراعية. فإن هذا يُعد نوعاً مِن الوحدة، يقوم فيه عنصرٌ مخلوقٌ في ظروفٍ معينةٍ بالخضوع لعنصرٍ آخرٍ مِن أجل خيرٍ محسوبٍ، ومحددٍ، ومِن أجل البقاء والخير.

٣٧- ويستطيع أي عاقل وحكيم يتأمل خليقة ا لله أنْ يرى إنَّ صراع العناصر هو صراعَ خضوعٍ يؤدي إلى الخير، وإلى ما هو محسوبٌ ومحددٌ مِن أجل تحقيق غاية في الكون، أو غاية يحددها الإنسان.

٣٨- ويستطيع أي عاقل وحكيم أنْ يرى إنَّ إحتجاز الماء خلف السدود، إنما هو صراعُ عنصرٍ ضد عنصرٍ آخر، وإنَّ هذا لا يدوم إلى الأبد؛ لأن السدود إذا أُهمِلَت، وتراجَعَ الذين أقاموها عن العناية بها، وإرتفع منسوب الماء إنهارت وتسببت في كوارث كبيرة. فالتدخُّل مِن أجل خلق إتحاد يقوم على صراع عنصر أو أكثر، هو تدخُّلٌ لا يدوم، ولا يبقَى لأن الخليقة لم تُخلق مِن أجل صراع العناصر،

رغم أهميته الواضحة، وإنما خُلِقَت مِن أجل التآلف الذي يحفظ بقاء كل كائن.

تشبُّه الخليقة العاقلة بالثالوث، هو سِر الحياة الأبدية:

٣٩- فإذا كانت كل الخلائق تشترك معاً في شركةٍ تحددها الطبيعة، أي طبيعة العنصر نفسه - فالماء مثلاً، له طبعٌ خاصٌ به، يجعله يَخدِم كل إحتياجات الكائنات الحية العاقلة، وغير العاقلة، ويُعطي لها الحياة، ويظل ممتزجاً بها، ومع ذلك ينفصل قدر كبير منه، وربما كله - إلاّ أنه عندما تنتهي حياة هذه الكائنات يعود الماء إلى دورته الطبيعية دون أن يتحوَّل إلى عنصرٍ آخر.

٤٠- هكذا تُقدِّم لنا الخليقة المنظورة مرآةً نرى فيها التنوع والوحدة، وهو المبدأ (أو القاعدة) التي أُعلِنَت لنا في الثالوث، وهي ذات حقيقة تدبير الخليقة المنظورة كمرآةٍ للطبع الإلهي، تُذكِّر الإنسان بحقيقة الوجود الإلهي، الذي إنعكس على الخليقة، وهو ما جعل الرسول يقول، **إن تدبير الخليقة يُعلِن ما هو غير منظور، في الخليقة، عندما يتأمَّل الإنسان كيف خَلَقَ ا لله الكون** (راجع رو١ :١٩و٢٠).

٤١- ولكن شركة الخليقة العاقلة هي شركةُ بقاءٍ أبديٍ، فهي لا تشترك عقلياً[١] في غيرها، أي في عناصر الكون، بل تقوم فيما بينها شركة حياة أبدية حسب حدود الطبيعة البشرية. فالكون يُمد الإنسان بالخبز وبالمأوى، وكل ما يؤهله للحياة، ولكن الجماعة الإنسانية هي التي تُمد كل فرد، والجماعة -ككل- بما يجعلها تحيا حياةً إنسانيةً عاقلةً؛ لأن المعرفة لا تُولَد مِن الطعام، رغم أهميته، ولا يأخذها الإنسان مِن أشعة

---

(١) عقلياً، تعني أيضاً روحياً، لأن الطبع العاقل فينا هو أحد مكونات الروح الإنسانية.

الشمس، رغم حيويتها، ولكنها تقوم بشركة التعليم، وبالحَدْس، والحوار، وقبل كل هذا بإلهام روح الحكمة، الرُّوح القُدس الذي يُحَكّم كل الكائنات، ويُعلِمها المهارات والقدرات التي وُصِفَت في مَثَل ربنا يسوع بإسم الوزنات (متى ٢٥ : ١٥-٢٨)، فالذكاء والفهم وفروع المعرفة، هي أشعة الإدراك التي يرسلها الرُّوح القُدس، ويسكبُها على كل الخليقة العاقلة التي تؤمِن، والتي لا تؤمِن بـا لله، وهي نور الكلمة (اللوغوس) الذي أخبرنا عنه الإنجيلي بكلماته القاطعة كل سبُلِ الشَك "**كان هو النور الذي يُضيء لكل إنسان آتٍ إلى العالم**" (يوحنا ١ : ٩).

٤٢- ومِن ا لله نـأخُذ الإدراك والمعرفة بواسطة الكلمة والرُّوح القُدس، وعندما نستنير نُدرِك أنَّ القدرة التي فينا، أي النطق والفهم والذكاء وسائر القدرات العاقلة التي تُشرِق مِن فوق مِن عند "**أبي الأنوار**" (يع ١ : ١٧)، هي ذات السُبل التي تؤدي بنا إلى معرفة الثَّالوث.

النطق، أو الفهم هو أوَّل أركان الشركة:

٤٣- وبدون الكلمة لا نملك نحن أنْ نبقى في الحياة كبشرٍ. فالكلمة هي سِر تقدُم الإنسان وبقائه كصورةٍ عاقلةٍ، فهي آداة كل تقدُمٍ، وجوهر كل حوار، وجوهر كل أنواع المعارف، الشريرة والصالحة. هي أداة المحبة، وأداة الحروب، وقبل أن يصنع الإنسان الحراب والسيوف، أشعلت كلمات البغضة نار العداوة، فبحث عن الحديد والمعادن لكي يصنع أدوات القتل؛ لأن القتل فكرةٌ وإعتقادٌ لا يقوم في عقل الإنسان بدون كلمةٍ، أو أكثر، ولا يمكن لأي فكرةٍ أن تدوم مهما كانت ما لم تُعبّر عنها كلمةٌ واحدة، أو أكثر؛ لأن الكلام هو سِر بقاء الإنسان

عاقلاً، و لم يكن عبثاً أن قال الإنجيلي الذي إستوعب تدبير الوحي كله، فقال بقوة الكلمة ونور الرُّوح القُدس "**في البدء كان الكلمة، والكلمة كان عند ا لله، وكان الكلمة ا لله**" (يوحنا ١:١).

٤٤- ونحن لا نملك أي شركة مع ا لله بدون الكلمة، ولا نملك أي شركة مع بعضنا البعض بدون كلمة، لأننا لا نتصل كلٌ بالآخر بدون العقل، فنحن لسنا مثل النباتات التي وإن كان لها لُغةٌ خاصةٌ بها تُسبِّح بها الخالق وتُقدِّم له المجد، إلاَّ أنها ليست لُغة إنسانية، بل لُغة كونية، لا تدخل في إطار وحدود الإدراك الإنساني إلاَّ عند الذين نالوا معرفةً بأسرار الكون، وإشتركوا مع الكون في تسبيح الثَّالوث بلغةٍ تعلو على اللغة الإنسانية، وهي لُغة الملائكة ولسان السماويين الذي أشار إليه الرسول (١ كور ١٣ : ١).

اللغة أداةٌ إنسانيةٌ إلهية:

٤٥- وتتكون اللغة مِن حروفٍ تُحوِّل الأصوات إلى كلمةٍ، أو كلماتٍ تتحد معاً لكي تخلق المعنى وتنقل بالمعنى، الإدراك الإنساني مِن الصوت إلى الفهم، ومِن الفهم إلى الشركة، أي عندما ننطق فإن الأُذن والعقل يُحوِّلان الأصوات الصادرة عن الفم واللسان إلى معانٍ تخلق العلاقات وتقوِّي ما هو كائن وتطوِّر ما هو موجود، وتنقل الإنسان إلى إدراك ما هو أعلى منه وأسمى مِن قدراته. ومَنْ يقرأ كتاباً عن الطب وفوائد الأعشاب ويفهمه ويتذوق الحكمة التي فيه، فهو لا يعود يرى الأعشاب كما كان يراها قبل حصوله على حكمة الطب، بل ينتقل بالمعرفة مِن حالة الجهل إلى الفهم، ويتحوَّل مع مرور الزمان ومداومة الدراسة إلى "حكيمٍ"

(طبيب)، وقد يصبح مُعلِماً في مدرسة الحكمة (مدرسة الطب). هذا التطور خلقته أولاً المعرفة، وثانياً الكلمة، وثالثاً الشركة الإنسانية.

٤٦- وهكذا نرى مجال عمل الله عندما ينقل روح الحكمةِ الفهمَ إلى الإنسان ويحوِّل الإنسان هذا الفهمَ إلى كلماتٍ، وتُصبح هذه الكلمات الإنسانية المركبة من حروف والتي يحوّلها ذكاء الإنسان من أصوات إلى معانٍ ينطقها، فتنقل الإدراك والفهم من إنسان إلى آخر، ومِن جيلٍ إلى آخر بواسطة الشركة بين البشَر. وتنتقل المعرفة مِن إنسان إلى آخر، ومِن شعبٍ إلى شعب، وما أعظم أولئك الذين درسوا لُغات الآخرين ونقلوا ما دُوِّن بها إلى لغة أهلهم، فنَمَتْ المعارف، وإتسع الإدراك، وعمَّ الخير، وإنتقل الإنسان إلى حالةٍ أفضل، وتقدَّم في فهم نفسه وغيره والكون الذي يحيا فيه، ويشترك في إخضاعه حسب كلمات المزمور الثامن.

الكلمة والرُّوح حسب الإعلان الإلهي:

٤٧- يقول المزمور "**تُرسل روحك فتخلق وتجدد وجه الأرض**" (١٠٤ : ٣٠)، ولكن لاحِظ إن عمل الروح في تجديد الخليقة لا يمكن الحديث عنه بدون الكلمة، فالكلمة والروح معاً، وإينما عمل الكلمة، عمل الروح معه. إذ يقول ذات المزمور "**ما أعظم أعمالك يارب، كلها بحكمةٍ صُنِعَت**" (١٠٤ : ٢٤)، فالحكمة هي روح الرب التي وُصِفَت بأنها "**روح المشورة والفهم**" (أش ١١ : ٢)، ويقول أشعياء النبي "**أمّا أنا فعهدي معهم قال الرب. روحي الذي عليك، وكلامي الذي وضعته في فمك لا يزول مِن فمك، ولا مِن نسل نسلك، قال الرب مِن الآن والى الأبد**" (٥٩ : ٢١). فالروح يُعطي الكلمة، والكلمة ينقل الروح، وهنا على المستوى الإلهي، إذا كان الكلام

عن أقانيم الثّالوث، وَجَبَ إستخدام صيغة المُذكّر، وإذا كان الكلام عن الإنسان، وجب إستخدام صيغة المؤنث، للتمييز. فالكلمة التي وُهِبَت بالرُّوح القُدس للانبياء، هي مِن الكلمة إبن ا لله، والروح الذي وُهِبَ للبشر، هو روح الرب الذي يسكُن في أرواحنا نحن البشر لكي نتكلم بكلام ا لله. وعندما يحل روح الرب علينا نجد كلام الرب على أفواهنا، نقوله بقوة الرُّوح القُدس. ويقول النبي أيضاً عن السيد الرب نفسه الذي لأجلنا صار بشراً "**روح السيد الرب عليّ لأن الرب مسحني لأبشّر المساكين**" (أش ٦١ : ١)، ويقول بعدها إنَّ هذه المسحة للبشارة والمناداة بالحرية حسب كلمة النبي نفسه "**لأنادي للمسبيين بالعتق وللمأسورين بالحرية، لأُنادي بسنة مقبولة للرب، وبيوم إنتقام لإلهنا، لأُعزي كل النائحين**" (أش ٦١ : ١، ٢) ولاحظ كلمات النبي وهو يخبرنا بالعهد الجديد:

* أُبشّر: أي بشارة الإنجيل، والبشارة بالكلمة.

* أُنادي: بالكلمة الحية.

* أُعزّي: وهو ذات عمل روح الرب المعزي.

ويختم كلامه بوعدٍ إلهي بأن ا لله في يسوع المسيح سوف يُعطي لنا في المسيح "**رداء تسبيح عِوضاً عن روح اليأس**" (أش ٦١ : ٣)، وتأمَّل قوله بعد ذلك عندما ينطلق الكلام الجديد الذي يُعطَى بالرُّوح القُدس "**فيدعون أشجار البر غرس الرب للتمجيد**" (أش ٦١ : ٣)، أي التسبيح بالرُّوح القُدس الذي قال عنه الرب نفسه "**يتكلمون بألسنةٍ جديدةٍ**" (مرقس ١٦ : ١٧).

٤٨- والروح هو قوة الحياة الإلهية التي تُعطي الكلمة النبوية، وهو مثالٌ لما

سيحدث في العهد الجديد عندما يُعطي الرُّوح القُدس، الإبن كلمة ا لله الآب للبشرية، لكي يُعطي الإبن بعد ذلك، الرُّوح القُدس نفسه للبشرية التي تؤمِن به، وتنال عطية الرُّوح القُدس بشكلٍ خاصٍ فائقٍ يسمو على عطية الرُّوح القُدس للأنبياء في العهد القديم.

٤٩- وهكذا رتب ا لله الآب أن يُعلِن عن مستقبل الخلاص بواسطة الرُّوح القُدس الذي سوف يُعلَن بعد ذلك كروح يسوع المسيح، ليكون مثالاً لما سوف يحدث إذ أننا نقبل الإبن كلمة ا لله بالرُّوح القُدس، روح التعليم النبوي الذي لا يُستمد مِن الشريعة، بل مِن روح الأنبياء نفسه.

٥٠- وحقاً وَصَفَ الرسول سيف الرُّوح القُدس بأنه كلمة ا لله (أفسس ٦ : ١٧)، لأن الكلام الذي لا يُستمد مِن الرُّوح القُدس هو كلامٌ عاطلٌ حتى وإنْ كان كلاماً حكيماً (١ كور ١ : ١٧). وعندما يقول الرسول إنَّ ربنا يسوع المسيح "**المُذخر فيه جميع كنوز الحكمة والعلم**" (كولوسي ٢ : ٣)، فهو يؤكد أنَّ كلام ا لله لا يمكن أنْ ينفصل عن حكمة ا لله، أي روح ا لله القدوس، ويقول ربنا أيضاً "**أنا أعطيتهم كلامك**"، ثم "**كلامك هو حقّ**" (يو ١٧ : ١٤، ١٧)، وبذلك كشف عن دور الكلمة النبوية، وكلمة التعليم الإلهي في قيادة فكر البشرية إلى الكلمة؛ لأننا **بالروح نُعطَى كلام حكمةٍ** (١ كور ١٢ : ٨). ووحدة الكلمة والروح يؤكدها الرب نفسه عندما يقول إننا لا نحيا بالخبز وحده، بل بكلمة ا لله (متى٤ : ٤)، وإنَّ روح الحياة الذي فينا سوف يُحيي أجسادنا المائتة (رو٨ : ١١).

الكلمة والروح:

٥١- عندما خُلِقنا على صورة الله، كان الله الآب يرتب تدبير الخلاص بعطية الصورة الإلهية لنا. وهكذا نحن على مثال الله، لأن لنا روحٌ، ولأن لنا حكمةٌ، وكلاهما الروح الإنسانية، والكلمة الإنسانية، عطية الآب السماوي لنا. والروح الإنسانية التي فينا هي روحٌ عاقلةٌ تحيا وتنمو بالكلمة أداة الفكر، والقوة التي تحرك القوة العاقلة، وتُعبِّر عنها، وتعطي لها النمو والتقدُّم. فالكلمة الإنسانية هي شرارةٌ مِن نار الروح الإنسانية لا يمكن أن تنفصل عنها. وهكذا نرى أنه كما تُعلِن الكلمة درجة حكمة وذكاء ومعرفة الناطق، تظل روحه مستترةً غير معلنةٍ إلاَّ بواسطة الكلمة والنطق، ويعبِّر النبي عن هذا بمثال واضحٍ عندما يقول "**هكذا قال العليُ المُرتفع ساكن الأبد القدُّوس إسمه .. أسكن مع المُنسحق والمتواضع الروح لأحيي روح المتواضعين**" (اشعياء ٥٧ : ١٥)، فالروح الإنسانية يُعلَن تواضعها وإنسحاقها بالكلام وبالسلوك. فالروح يُعلَن بواسطة الكلمة كمثالٍ لإعلان يسوع المسيح بواسطة الروح؛ لأنه كلمة الله المُتجسِّد. وهكذا جاءت الحياة والوجود الإنساني موازياً ومثالاً للوجود الإلهي الذي فيه يُعلَن الرُّوح القُدس بواسطة الكلمة عندما يتجسَّد، لكي يُعلِن بعد ذلك الروحُ الكلمةَ المُتجسِّد. وهكذا رتب الله أنْ تحيا الخليقة لكي تفهم ما سوف يُعلَن في آخر الدهور عن الحياة الإلهية.

الإنسان صورة الله:

٥٢- خَلَقَ الله الآب، بإبنه يسوع المسيح، الروح الإنسانية مِن العدم مثل الجسد تماماً، ولكنه أعطَى للروح أنْ تكون صورةً للكيان الإلهي، ومثالاً له حسب إعلان الرُّوح القُدس في الكتب المقدسة، إذ يؤكد القديس الرسول يعقوب إنَّ البشر

خُلقوا على شبه صورة ا لله (راجع يع ٣ : ٩). والرُّوح هي القوة الحيوية المتدفقة دائماً، هي الحياة نفسها، وهكذا تقول راحاب بعد أن سمِعت بأعمال ا لله القوية "سمِعنا فذابت قلوبنا، و لم يعُد بعد روحٌ في أي إنسانٍ بسببكم" (يشوع ٢ : ١١). ونفس الكلام قِيلَ عن ملكة سبأ بعد أن شاهدت سليمان الملك "لم يبق فيها روح" (١ ملوك ١٠ : ٥). هذه القوة تأخذ حيويتها وقدرتها (طاقتها) مِن ا لله، ولذلك يُحذِّر الرسول القديس بولس المؤمنين مِن القوة الشريرة التي تُسبِب الإنزعاج والبلبلة في نفوس المؤمنين، مؤكِّداً أنَّ قوة الروح الشرير تعمل بواسطة الكلمة الشريرة "**نسألكم أيها الإخوة مِن جهة مجيء ربنا يسوع المسيح، وإجتماعنا إليه أن لا تتزعزعوا سريعاً عن ذهنكم، ولا ترتاعوا لا بروحٍ، ولا بكلمةٍ، ولا برسالةٍ**" (٢ تس ٢ : ١و٢). ويؤكد ذات التحذير القديس الإنجيلي يوحنا قائلاً لنا "**لا تُصدِّقوا كل روح**" (١ يوحنا ٤ : ١)، فالروح لا يعمل بدون كلمة، ولذلك يُطابق الروح الشرير عمل ا لله نفسه، ولكن تكشف كلمات كل تعليم عن الروح الخفي والقوة التي تريد أن تصنع خيراً حسب ا لله، أو شراً حسب الشيطان. وإذا قيل عن شمشون إن العطش كاد أنْ يُفقِده الحياة، وإنه كاد يموت، ولما شَربَ "**رَجِعَت روحه فإنتعش**" (قض ١٥ : ١٩)، صار مِن الواضح، إن إنعدام القوة، هو ما يُوصَف بتعب الروح (مزمور ١٤٢ : ٣) "**وفناء الروح**" (مزمور ١٤٣ : ٧). وضبط النفس، وهي فضيلة البالغين تُوصَف بعبارة الوحي المُقدَّس "**مالِك روحه**" (أم ١٦ : ٣٢) ويحذر الحكيم كل عاقل بأن "**لا تسرع بروحك إلى الغضب**" (جا ٧ : ٩). أمّا الذي ينال تعزية الرُّوح القُدس، فإنَّ الوحي المقدَّس يصفه بأنَّ "**روحه قد إستراحت**" (٢ كور ٧ : ١٣). وعندما نال يوحنا المعمدان غيرة رب الجنود

وقوته، وُصِفَ بأنه السابق الذي سوف يتقدَّم، أي يسبق ربنا يسوع المسيح "**بروح إيليا**" (لو ١ : ١٧).

الروح الإنسانية والكلمة الإنسانية:

٥٣- ولما كانت الروح الإنسانية هي القوة الحيوية والقدرات العاقلة التي أُعطيت مِن ا لله للانسان، صار للكلمة الإنسانية ذات القدرات، فهي تنقل بواسطة صوت الحنجرة، وحركة اللسان، أي الأصوات ما يجول وما يحدث في الحياة الداخلية، فتخرج القوة العاقلة غير المرئية بصورةٍ مسموعةٍ، وتنقل معها الحياة الداخلية وهكذا تُعلَن الإرادة والفكر والعواطف والخيال بواسطة الكلمات، وهكذا أيضاً صار خلق الإنسان على صورة ا لله، مُقدِّمةً سهلةً، وواضحة لإعلان ا لله عن ذاته بواسطة الكلمة الإبن الوحيد الذي بالرُّوح القُدس أعطَى الوحي المقدس. وهنا يجب أنْ يكون واضحاً أنَّ الكلمة الإنسانية التي تُعلِن خفايا الإنسان، هي صورةٌ وشعاعٌ لما يحدث على المستوى الإلهي عندما تعلَن الكلمة النبوية، وكلمة التعليم التي تُعطَى بالرُّوح القُدس، الثَّالوث القدوس، ويصبح مجال إعلان الكلمة إبن ا لله هو الكلمة الموحى بها، وقوة الرُّوح القُدس التي تنير أذهان المؤمنين لكي بواسطة الكلمة التي تنقل لنا خفايا الحياة الإلهية، وبنور الرُّوح القُدس نقترب مِن ا لله، ولذلك السبب عينه يقول الرسول بولس مُعلِم الأُمم "**يعطيكم إله ربنا يسوع المسيح**" أي الآب نفسه "**أبو المجد**" مصدر المجد "**روح الحكمة والإعلان في معرفته، مستنيرةً عيون أذهانكم لتعلموا ما هو رجاء دعوته** (أي الإتحاد به) **وما هو غنى مجد ميراثه في القديسين**" (أفسس ١ : ١٧-١٨).

كلمة قدرته:

٥٤- يقول نفس الرسول عن ربنا يسوع المسيح إنه هو بهاء مجد الآب ورسم أُقنومه، وحامل، أي حافظ كل الأشياء بكلمة قدرته (عب ١ : ٣). ربنا يسوع المسيح هو الذي يحفظ الخليقة ويُدبِّرها ويُعطي لكل مخلوقٍ حدود وغاية طبعه، وهو ذاته الكلمة الأزلي الذي منه الكلمة الإلهية التي نطق بها الذين أقامهم أنبياءً ورسلاً ومعلمين في الكنيسة الجامعة، وهو الذي أنارهم بالروح، فنطقوا بالرُّوح القُدس كلمة الحق التي هي شرارةٌ مِن نار الحق الأعظم ربنا يسوع المسيح الذي له المجد دائماً إلى الأبد.

٥٥- وهكذا بسبب وحدة عمل، ووحدة جوهر الثّالوث القدوس يعمل الكلمة الإبن بكلمة قدرته، بالرُّوح القُدس الذي يأخذ مِن الإبن بسبب وحدة الجوهر، ويُعطي الخليقة كلمة وحياة، ولنفس السبب قال الرب نفسه "**الكلام الذي أكلمكم به هو روح وحياة**" (يوحنا ٦ : ٦٣) مؤكّداً بذلك حقيقة التعليم الذي يُعلّم به ومصدره وغايته، فهو تعليم عن الحياة، لأن الرب هو الحياة، وهو تعليم عن الروح، لأن الرب أعطانا الروح، وهو تعليم بالكلمة، لأن الكلمة الإبن هو واهب الكلمة لحياة كل مخلوق ناطق يحيا بالكلمة. وكلمة قدرة الرب يسوع هي التي تحفظ عروش الرتب السماوية، وتعطي لهم أنغام التسبيح السماوي، وهي التي تجعل كل واحد منهم يحفظ رئاسته مُقدَّساً بالرُّوح القُدس.

توزيع العمل يؤكد وحدة الجوهر:

٥٦- عندما يُوزِّع الرُّوح القُدس مواهبه المختلفة يظل الروح الواحد (١

كور ١٢ : ٤)، وعندما يُوزِّع الإبن الوحيد رُتب الخدمة المقدسة، يظل الرب الواحد. وعندما يعمل الثَّالوث معاً موزِّعاً خدمة الخلاص بين الإبن والرُّوح القُدس فإن توزيع العمل يؤكد وحدة الجوهر، لأن الذي يعمل مِن أجل ذات الغاية التي يعملها غيره، فهو واحدٌ بالإرادة وواحدٌ بالطبيعة أو الجوهر. وهكذا خلق ا لله الآب الخليقة الجديدة، أي الكنيسة الجامعة، وأعطاها هذا الإسم الجديد "**جسد المسيح**" مؤكِّداً لنا وجودها الحقيقي الإنساني المُستمد مِن المسيح يسوع نفسه، أي الإبن الكلمة المتجسد. وسائر أسماء الكنيسة، الكرمة، بيت ا لله، جماعة القديسين، وغيرها مِن أسماءٍ كلها مُستمدَةٍ مِن حقيقة تجسُّد إبن ا لله، فهو الذي تجسَّد لكي يكون البكر بين إخوة كثيرين (رو ٨ : ٢٩)، وصار بسبب تقدمه عنا في كل شيء، الرأس (أف ١ : ٢٢)، والأوَّل، والبداية (رؤ ١ : ١١)، ولنفس السبب قيل أنه هو الأخير، أي الخاتمة والغاية، والنهاية، لأننا جميعاً سوف ننتهي إلى قياسٍ واحدٍ، وقامةٍ واحدةٍ، وهي المسيح يسوع نفسه الذي سوف تصل قامته إلى الكمال عندما يشترك كل الذين نالوا الخلاص في كل الدهور في حياته الإلهية وينالوا فيض نعمته.

٥٧- وما يعمله الآب بإبنه إنما يعمله أيضاً في الرُّوح القُدس، عملٌ واحد، ونعمةٌ واحدة، وغايةٌ واحدةٌ لثالوثٍ واحدٍ متساوٍ. وإذا كان توزيع العمل يعني تعدد الاشخاص، فإن إتحاد الأشخاص في العمل ظاهرٌ. وتفرُّق الأشخاص بسبب الخطية لا يلغي وحدة الطبيعة البشرية، أي جوهر الإنسانية الكائن في كل إنسان، والذي تُلغيه الإرادة الإنسانية بسبب تفرق الفكر وتعدد النوايا، حتى أن وجود القلب الواحد، أي الحياة الداخلية الواحدة، يتلاشى بسبب الإنقسامات، ويصبح وجود الطبيعة الواحدة هو الدينونة الأكبر للبشر المنقسمين إلى أحزابٍ وشيع، وجماعاتٍ متنافرة.

٥٨- أمَّا على المستوى الإلهي حيث كمال المحبة، وكمال الطبيعة الإلهية فإن الإنقسام غير معروفٍ، بل هو ضد الطبيعة الكاملة الفائقة، التي هي المحبة الكاملة التي لا تحتاج لأحدٍ، ولا تقوى ولا تضعف، بل هي أزليةٌ دائمة. فإذا قال الإبن له المجد "**أبي يعمل، وأنا أعمل**"، فهو يُعلِن لنا تمايُزه عن الآب، ويؤكده بقوله "**الآب الحال فيَّ هو يعمل الأعمال التي أنا أعملها**" (يوحنا ١٤ : ١٠)، وهنا وحدة الإرادة مِن وحدة الجوهر، وهي سبب وحدة العمل. أمَّا على مستوى البشر فإنه يتعذر علينا أنْ نقول عن إنسان أنه يحل في آخر، لأن حلول بشر في بشر، ليس مِن خصائص الطبيعة البشرية، بل هو إمتياز الطبيعة الإلهية، التي كل الإشياء كائنة منها، وهي تجمع كل الخليقة في وحدةٍ واحدة.

تثليث الأقانيم والنعمة الواحدة:

٥٩- حسب ما نراه في الخليقة المنظورة، تقع الخليقة في صراعٍ بين الوحدة التي تجعل كل كائنٍ يجود ويُعطي شيئاً يشترك به في وحدة الخليقة، وبين تنافر طبائع بعض العناصر، مثل تنافر طبيعة الماء والنار، فكلاهما يعمل معاً، وفي أغراضٍ معينة، بواسطة تدخل عنصر ثالث يحقق الإنسجام، مثل إستخدام النحاس أو الحديد كوسيط وعازل يحقق إنتقال الحرارة مِن النار إلى الماء حسب الإستعمال المطلوب. وهكذا تظل وساطة عنصر أو أكثر، ضروريةٌ لعزل التنافر وتحقيق الإنسجام. أمَّا صراع العناصر، فهو أيضاً له مصدرٌ معروفٌ، وهو خضوع الخليقة "**للبُطل**" (رو ٨ : ٢٠)، إضافة إلي أن الوحدة الكائنة قبل السقوط هي التي أظهرت هذا التنافر بشكلٍ ظاهرٍ. وحتى بين البشر الذين نالوا مواهب وعطايا الرُّوح القُدس، كثيراً ما نرى كيف يجمع شخصٌ بين عطيةٍ روحيةٍ سماوية وخطايا، أو خطية شخصية تمتزج

بعطية ا لله بشكلٍ ظاهرٍ وتجعل مِن عطية ا لله، وهي لها غايةٌ واحدة، مصدر إنقسام وضعفٍ روحيٍ ظاهرٍ في وسط الجماعة التي تعاني مِن صراعات الخطية، رغم عمل ا لله الظاهر في وسطها، والذي لا يتوقف لأن ا لله لا يُعطي نعمةً على قدر محبة الإنسان، أو توبته، بل حسب صلاحه الإلهي.

أمّا على مستوى العمل الإلهي، فليس في الثّالوث صراع الخطية، أو إنقسام وتعدُّد الإرادة. قال معلّم الملوك الأنبا أرسانيوس عبارةً واحدةً، تميِّز العمل والطبيعة الإلهية عن الطبيعة الإنسانية، وهي **"إن ربوةً مِن الملائكة لهم إرادة واحدة، وإنسان واحد له ربوة إرادات"**، فالطغمات السماوية تعمل معاً حسب إرادة واحدة لا تنافُر فيها، فكيف يجوز لنا أنْ نتصور أنَّ للثّالوث الواحد أكثر مِن إرادة؟، أو تنافرٍ في الإرادة؟، ولذلك علينا أنْ نتذكر دائماً أنَّ تثليث وحدة الجوهر هو تثليث أقانيم، وبالتالي فهو تثليث ذات الإرادة الواحدة التي هي واحدٌ في الآب والإبن والرُّوح القُدس، حتى أنها في الحقيقة ليست ثلاثة، بل واحدة، وعندما يَهَب الآب البنوة، فهي لا تصل إلينا مِن الإبن وحده، لأن بنوة الآب هي بالإبن والآب، فهي ذات الشركة التي يُعطيها الرُّوح القُدس في علاقة الآب والإبن. وعندما يسكن فينا الرُّوح القُدس، فهو لا يسكن وحده، بل يسكن فينا بالإبن وبالآب، ولذلك عندما يقول المُخلّص "اليه نأتي، وعنده نصنع منزلاً" (يوحنا ١٤ : ٢٣)، فهو لا يتحدث عن سُكنى مثلثة لثلاثةٍ منقسمين، بل سُكنى واحدة لثالوث واحدٍ متساوٍ، وواحدٍ بالجوهر.

٦٠- وعندما يسكُن فينا الإبن بواسطة إتحاده بنا بجسده المُقدَّس في السِّر الإلهي الفائق، أي سِر الشكر، فإننا ننال سُكنى الرُّوح القُدس، وسُكنى الآب، ونصير واحداً مع الثّالوث (يوحنا ١٧ : ٢٣).

الثّالوث وخلاص الانسان:

٦١- وسوف أُحاول على قدر ما يمكن أنْ تنطق به شفاه الإنسان، ولغته الإنسانية أنْ أشرح كيف نستمد الخلاص مِن الثّالوث؟، وإنه بدون الثّالوث لا خلاص لنا.

أولاً: نحن ننال التبني في الإبن الوحيد ربنا يسوع المسيح. لو تصورنا أنَّ هذه عطية منفردة لا تخص الثّالوث الواحد، وإننا عندما ننال التبني في المسيح لا شركة لنا مع الآب، فإننا نسقط، ليس فقط في الهرطقة الأريوسية، بل في توحيدٍ ناقصٍ لا قيمة له بالمرة عند الله، لأنه ليس مِن الله، ولا يغيِّرُ شيئاً في حياة الإنسان، إذ لا يؤدِّي التوحيد بدون الثالوث إلى التبني. أمّا حسب التعليم القويم، فإننا عندما ننال البنوة في المسيح، فإننا ندخل شركة الإبن في الآب، فلا بنوة بلا أُبوة، ولا أُبوة بلا بنوة. وهكذا عندما تُعلَن لنا طبيعة الثّالوث القدوس، فإننا ننال التبني في الإبن لكي يكون لنا شركة مع الآب. وعندما نشترك في الآب الذي هو مصدر البنوة، فإننا نعود إلى الله الذي إغتربنا عنه بواسطة الخطية.

ثانياً: وعندما نشترك في بنوة الإبن فإننا به ننال شركة في الرُّوح القُدس. وعندما سأل الأب زكريا الأسيوطي عن دور الرُّوح القُدس في التبني، أجابه معلمنا الكبير الأب ديونيسيوس بأن الروحَ قائمٌ في الثّالوث في ذات الجوهر، وإنَّ شركتنا في الإبن تفتح لنا أحضان الآب، وإننا عندما نتكئ في أحضان الآب السماوي، فإنه يجود علينا بالرُّوح القُدس الذي ينبثق منه (يوحنا ١٥ : ٢٦). وقال أيضاً إنَّ كل أُقنوم يجود بعطيةٍ خاصةٍ به، أي العطية الصادرة مِن الصفة الأُقنومية التي تميِّزه عن غيره. وهكذا يُعطي لنا الرُّوح القُدس، الحياة والتقديس وكلاهما مِن صفات الروح الذي تُميِّزه عن الآب والإبن،

وبشكلٍ خاص، التقديس، لأن التقديس هو عطية خاصة تُعطَى لكل كائنٍ، لا لكي تحفظ له تمايُزه وتفرده فقط [1]، ولكن أيضاً لكي يتحول التفرد والتمايُز إلى وحدةٍ. فالتقديس هو روح الوحدة وهو يُعطَى مِن الروح لكل الخليقة، حتى الرتب السماوية لكي تثبت في التسبيح. وكلما يتكلم الوحي عن الثبات في الله، فالثبات هو كلمةٌ أُخرى تُعبِّر عن التقديس. وهكذا عندما نقول إنَّ الروح هو روح الحياة، فإننا نقصد مِن هذا أنه يُعطي الحياة للتقديس، أي الحياة المختومة بختم التفرد، فتثبُت في طبعها الذي خُلقت به، وتبقى مقدسةً حسب مشيئة الثَّالوث. ونحن ننال البنوة في المسيح، وكلٌّ مِنا يتقدَّس، أي يحفظه الرُّوح القُدس ثابتاً في الإبن حسب عبارة رسول المسيح: **والذي يثبتنا معكم في المسيح هو الله، وقد مسحنا بالرُّوح القُدس** (٢كور ١ : ٢١). نحن نُمسَح بذات المسحة التي أُعطيت للرب يسوع في معموديته في الأردن، لكي نكون حقاً وفعلاً "**مسيحيين**"، ونُمسح لكي نثبُت، أي نتقدَّس في المسيح، أي لكي نصير مثله، وننال منه بنوةً ثابتةً مقدسةً.

ولما سأل الأب زكريا وقال "**لماذا لا ننال الثبات والتقديس مِن المسيح؟**" أجاب الأب ديونيسيوس بأن هذا السؤال، بالذات يكشف عن فكرٍ يحاول أنْ

---

(١) يُلاحَظ أن التخصيص أو التكريس، هو من المعاني الهامة لكلمة التقديس، ولذلك يتكلم القديس صفرونيوس هنا عن التفرد والتميُّز، فالمُقدَّس هو خاصة الله. يقول القديس باسيليوس: عليك أن تعتقد بثلاثة: الرب الذي يعطي الأوامر والكلمة الذي يخلق والروح الذي يثبت، وما هو التثبيت سوي التكميل بالتقديس. والتكميل يعني الثبات وعدم التغيير والتمسك بالصلاح، فلا تقديس بدون الرُّوح القُدس (الرُّوح القُدس، فصل ١٦ - ٣٨ ص١١٢)

يُفرِّق الأقانيم، فالثبات يُعطَى بالرُّوح القُدس في المسيح. ولذا حَذَّر الأب ديونيسيوس مِن الأسئلة التي تُولَد مِن المُخيِّلة التي تتصور الإنفصال والإغتراب أولاً، ثم تسأل عن حالة أقانيم مُنفصلة، وليست عن حالة أقانيم مُتَّحدة. وهكذا عندما ننال الثبات في المسيح مِن الرُّوح القُدس فإننا نناله مِن الآب الذي إليه نعود لكي نُصبح واحداً معه.

٦٢- ومِن أجل ما سبق وذكرته، وأخذته عن مُعلّمنا الكبير ديونيسيوس، أُعيد ما قاله، مؤكِّداً أننا نحتاج إلى تدريب المُخيِّلة لكي تستطيع أن تتصور الوحدة، كما هي قادرةٌ بالطبيعة العاقلة التي فيها، أن تتصور الإنفصال دون مشقةٍ، لأن الإنفصال سهلٌ وظاهرٌ، أمَّا الوحدة فهي صعبةٌ بسبب التنافر والصراع الذي جاء مع الخطية. وتدريب الإرادة والمُخيِّلة يبدأ بحياة التوبة، وهي جحد الذات الذي فيه ننال عطية الرُّوح القُدس، لكي لا نحيا لأنفسنا، وبذلك تتحرر مخيلتنا من كل صور الإنقسام الذي تزرعه فينا الأنانية والإفراط في حب الذات، لأن الأنانية تبحث دائماً عن الإنفصال، وحب الذات يؤكد هذا الإنفصال. أمَّا جحد الذات، أي ألاَّ نحيا لأنفسنا، فهو الذي يزرع فينا أي في مخيلتنا صور الوحدة والتآلف. وهكذا، فبجحد الذات نحن ندخل إلى أوَّل أعتاب شركة الثَّالوث، لأن المحبة الكاملة هي عطاء الذات، وعطاء الذات هو الإسم الآخر لجحد الذات. نحن لا نجحد ذواتنا لكي ننطلق إلى الفراغ والعدم، بل لكي نؤسِّس شركة المحبة على مثال شركة الثَّالوث. وعندما أوصى ربنا يسوع بأن نجحد أنفسنا، فقد حدَّد بكلماتٍ قاطعةٍ، أن هذا هو "**حَمَل الصليب**"، وبذلك شرح لنا أن جحد الذات الذي يؤدِّي بنا إلى الإنطلاق في طريق الصليب، هو "**حَمَل الصليب**". إنه ليس موتٌ يؤدِّي إلى عدمٍ،

بل موتٌ يؤدي إلى القيامة، أي حَمَل الصليب، لأن الحي بالمسيح هو مَنْ يحمل الصليب، أي "**يحمِّل صليبه، ويتبعني**" (لو ٩ : ٢٣) حسب القول الإلهي.

ومُخَيِّلةُ مَنْ يُمارِسُ جحد الذات، تستطيع أن تتصور الوحدة بمشقةٍ أقل، لأن الفكر هنا لا ينطلق مِن الذات، كما تسعى الإرادة في طلب الآخر والغير، ولذلك تصفو المُخيِّلة وتتأمل الوحدة، وإن كان ذلك لا يتم بدون مشقةٍ -كما قلنا- لأن البعض يجحد ذاته لكي ينال إعجاب ذاته، وإعجاب الآخرين، وبذلك يُصبح جحد الذات، هو تأكيدٌ للذات، وبقاءٌ داخل سجن الأنانية، ولذلك فإن الذين سلكوا طريق النُسك بدون إفرازٍ فشلوا، لأن جحد الذات بدون محبة حقيقية للآخرين، يجعل جحد الذات هو طريق موتٍ، وليس طريق حياةٍ.

٦٣- ويُساعدنا جحد الذات، في شركة المحبة، على أنْ نُدرِك أننا جسدٌ واحدٌ، وإنَّ التقديس الذي نناله مِن الرُّوح القُدس، الذي يحفظ كل عضوٍ في نعمته ومواهبه، إنما هو تقديسٌ يؤدِّي إلى الوحدة، وعلى هذا القياس ننال أوَّل تدريب للحواس تحت قيادة الرُّوح القُدس، الذي وحده يُعزِّي الذين يجحدون ذواتهم، إذ يُعلِن لهم أمجاد الملكوت الآتي، وبركات الحياة الظافرة في المسيح، فلا يسقطون في اليأس، وصِغَر النَفسِ.

٦٤- وتدريبٌ آخر نراه جميعاً ويقع تحت حصر حواسنا كلها، وهو أعلى مِن التدريب السابق، لأننا ندخله جميعاً بقلبٍ واحدٍ، وفكرٍ واحدٍ، وهو الصلاة والشركة في الأسرار في القُدَّاس الإلهي (حرفياً الخدمة، أو الليتورجية الإلهية). نحن جماعةٌ متمايزةٌ، وربما في بعض الأحوال متصارعةٌ ومتنافرة. ولكننا ندخل الخدمة

المقدَّسة لكي ننال في المسيح، البناء الإلهي، الذي نتغرب عنه فكرياً وقلبياً بسبب الحياة التي نحياها. هذا البناء الإلهي، هو الجسد الواحد، أي جسد المسيح الذي نتغرب عنه بسبب ضعف حياة الشركة، وبسبب الإغتراب الفكري الذي نعانيه جميعاً. هذا الإغتراب هو الحياة داخل "سجن الأنا". هذه الحياة، مهما كانت، لا تقوى عليها خطايانا، وفي عهد نعمة ربنا يسوع المسيح لا تستطيع الخطية أنْ تهدم النعمة، لأن الرسول قال عن نعمة ربنا يسوع المسيح أنها "بلا ندامة" (رو ١١ : ٢٩)، فا لله لا يندم، ولا يسحب نعمته. وحتى الهالكين لا يفقدون نعمة الرُّوح القُدس وسُكناه إلاَّ في يوم الدينونة [١]. إننا في الخدمة الإلهية (القُدَّاس الإلهي) نشبه

---

(١) راجع، القديس باسيليوس الكبير حيث يقول: "وبالمثل الذين أحزنوا الرُّوح القُدس بسلوكهم الشرير و لم يستثمروا ما أُعطي لهم، سوف يحرمون من الذي أخذوه، أو تعطى النعمة التي كانت عندهم لآخرين أو حسب تعبير واحد من الإنجيليين الأربعة سوف يُشطرون إلى شطرين (متى٢٤: ٥١) والشَطر يعني الإنفصال التام عن الروح؛ لأن هذا التعبير لاينطبق على الجسد، فهو لا يشطر حسب الخرافات السائدة، فقسم منه يخلص وقسم منه يلقى للعذاب، فالقاضي العادل لا يقاضي الجزء بينما الكل مُخطئ، وكذلك النفس لاتُشطر إلى شطرين، بل النفس بجملتها هي التي تملك الإرادة الخاطئة وتستعين بالجسد لعمل الشر. ولكن الشَطر إلى قسمين- كما ذكرت- هو الإنفصال التام للنفس عن الرُّوح القُدس. ومع انه لا يختلط بالذين لا يستحقونه، إلاَّ أنه بنوع ما حاضر في الذين ختموا مرة، وهو يعمل على خلاصهم إذا ما عادوا، وإلاَّ فإنه يقطع تماماً من النفس التي تدنس نعمته. لذلك السبب قيل "ليس في الجحيم من يسبحون ا لله، وفي الموت لا يوجد من يتذكر ا لله"(مز٦ : ٥س)، لأنه لا توجد هناك معونة من الروح، فهو ليس حاضراً في الذين إبتعدوا عن ا لله. كيف إذن يمكن الإعتقاد بأن الدينونة تتم بدون الرُّوح القُدس، والكلمة

ملكاً عظيماً يرتدي أسمالاً حقيرةً، وتحتها الثوب الملوكي، أي طبيعة ربنا يسوع المسيح الذي أعطانا أنْ نكون خليقةً جديدةً فيه، لا يقوى عليها موت الخطية [١]، حيةً بالرُّوح القُدس واهب الحياة الذي لا يموت. والخدمة الإلهية مثل مرآةٍ نرى فيها نفوسنا، ونخلع فيها أسمال البائس الحقير، آدم الأوَّل، لكي نرى فيها ثوب ربنا يسوع المسيح، أي برّه الإلهي الذي وُهِبَ لنا. وعندما نتناول مِن الأسرار تعود عقولنا وفكرنا المغترب عن محبة الله، ومجد قداسته إلى عرش الملك العظيم ربنا يسوع المسيح الذي تغربنا عنه، فكرياً، بالرغم مِن بقاء طبعنا الجديد الذي لا نملك أنْ نراه بدون المسيح، فهو ليس فينا بقوة الإرادة الإنسانية، ولا هو مِن صنع فكرنا، ولا هو بجهدنا، أو حتى بالنُّسك، بل هو هبةٌ، وعطية الله الآب في إبنه يسوع المسيح مِن أجل هذا السبب عينه، نحن نعجز عن أنْ نرى الخليقة الجديدة التي فينا بدون المسيح.

٦٥- وكلما تَغرَّب فكرنا عن الخليقة الجديدة، كلما أحسسنا بأننا عُدنا إلى الخليقة الأولى القديمة الميتة، ولكن علينا أن نتذكر دائماً أن الخليقة الجديدة هي شركةٌ، وهي شركةٌ في شركة الثَّالوث، أي أنها علاقةٌ، وثباتُها ليس مِنّا، ولا بواسطة أيةِ قوةٍ

الإلهية تشير إليه بإعتباره جائزة الابرار، ففي ذلك اليوم ينالونه بالكمال بدلاً من العربون (٢كو١ : ٢٢، ٥:٥) وبداية الدينونة في ذلك اليوم أيضاً تكون حرمان الخطاة مما أخذوه". مقالة عن الرُّوح القُدس (فصل ١٦ : ٤٠)، ص : ١١٦ تعريب د. جورج حبيب بباوي.

(١) تقول أوشية السلامة الكبيرة: "**إسمك القدوس هو الذي نقوله، فلتحيّى نفوسنا بروحك القدّوس، ولا يقوى علينا نحن عبيدك موت الخطية**".

تملكها، بل إنَّ ثباتَها هو مِن ا لله، وبواسطة نعمة الرُّوح القُدس والإلتصاق الدائم بالرب. ولما سمعنا كلمات أبينا، لابس الرُّوح القُدس، الأنبا أنطونيوس التي كان يرددها دائماً: "**حيٌّ هو الرب الذي أنا واقفٌ أمامه اليوم**"، قال الأب ديونيسيوس لنا: إنَّ هذه العبارة هي مُلخّص حياة أنطونيوس كلها، فقد عاش حياة التجديد دائماً، وكان ينسى ما حدث كل يومٍ، لكي يتقدَّم مع كل يوم إلى الأمام. والويل لنا إنْ سَكَنَتْ أوجاع الخطية لفترةٍ، وظنَّ أيٌّ مِنَّا أنه غَلَبَ، أو إنتصر، لأن هذا الشعور الكاذب هو بداية الإنحدار. لِنقف كل يوم، وكل ساعة معاً بعقلٍ جديد؛ لأن الخليقة الأولى القديمة، هي قائمةٌ على الإمتلاك بدون شركة، وهي لذلك تَفَسَد دائماً بالأنانية والتسلُّط والخداع والقهر، وتحيا في عذاب الخوف مِن فُقدان وضياع ما تملك، أمَّا الخليقة الجديدة، فهي تفرح بالشركة، وترى في ضياع ما تملك تُرياق عدم الموت؛ لأن البذل هو علامةٌ مِن علامات تذوق موت المسيح، وقيامته.

الشركة في جسد المسيح:

٦٦- عندما يُوزِّع الرب علينا جسده المقدس، وكأس محبته الأبدية، أي دمه الكريم، فإننا ننالُ جوهرةً مقدارها ليس في حجمها، بل في قوتها وفي فاعليتها، فليس بالأحجام، ولا بالشكل تُقاس الأُمور الخاصة بالدهر الآتي، وبشركتنا في ا لله، بل بالقوة والنعمة المعطاة في الأسرار. وكل واحدٍ منا يأخذ ميراثه، أي جسد ودم ربنا يسوع على قدر وحسب نعمة ا لله. فالجوهر واحدٌ والتوزيع متعددٌ لكل الأشخاص، والجسد والدم واحدٌ، ولكن المتناولين كثرةٌ. فالتعدُّد لا يجعل الهبة والعطية، أي الجسد والدم متعددة، بل مُوزَّعةً دون أنْ تنقسم؛ لأن المسيحَ واحدٌ لا ينقسم. وهكذا بالشركة نتعلم حقيقة هامة عن الثَّالوث، وتتدرب عقولنا على قبول

السِّر الفائق، أي سِر حياة الثَّالوث، بواسطة سِرٍ آخر يُعطَى ويُوزَّع علينا بصورةٍ مرئيةٍ ظاهرة، هي الجسد والدم الذي يُوزَّع علينا، كقوتٍ وطعامٍ نأكله لنحيا به.

٦٧- ونحن نشترك في الجسد والدم لكي نحيا حسب الشركة، وهي أننا نحيا بالمسيح وللمسيح معاً في وحدة جسده ودمه، لنُصبح معاً جسد الرب وأعضاؤه أفراداً (١ كور ١٢ : ٢٧) وبذلك نستطيع بمقارنة **"الروحيات بالروحيات"** (١كور ٢ : ١٣)، أنْ نتعلم مِن سِر الشكر، سِر الثَّالوث القدوس، لأننا نشترك في جسدٍ واحدٍ، وكأسٍ واحدٍ، لنكون واحداً مع الرب، ومع كافة أعضاء جسده دون أنْ نفقد وجودنا وأُقنوم كياننا، بل نُصبح جسداً واحداً وروحاً واحداً، أي جسد المسيح. هذه الصيرورة والتحوُّل في علاقتنا، كلٌ بالآخر فيها عربون تذوُّق الثَّالوث القدوس، لأننا نصبح واحداً، ونبقى الأعضاء المتعددةَ المتكاثرةَ لمجد الله، وللوحدة التامة المماثلة لوحدة جوهر الثَّالوث.

٦٨- وتُصبح الخدمة الإلهية (القُدَّاس الإلهي) هي مرآةُ الوجود الخاص بنا كأفرادٍ. والوجود حسب الشركة كأعضاءٍ في وحدةٍ واحدةٍ، هي جوهر حياتنا الجديدة، أي جسد المسيح. فكل عضوٍ هو جسد المسيح، وهو في نفس الوقت عضوٌ متميز، وكل الجسد حياةٌ واحدةٌ وكياناً واحداً، وهو في نفس الوقت شركةُ أعضاءٍ متعددة، وبذلك يتم قول المُخلِّص: **ليكون الجميع واحداً فينا كما أننا نحن واحدٌ** (يوحنا ١٧ : ٢١).

٦٩- وعندما نتناول الجسد المُقدَّس والدم الكريم، فإننا نُدرِك أنَّ وحدتنا هي عطية المسيح لنا، وليست نابعةً مِن الطبيعة القديمة التي فينا، بل هي عطية الخليقة الجديدة.

ونُصبح واحداً حسب عمل النعمة، وليس حسب الأهواء الإنسانية. وتجعلنا النعمة واحداً، أي جسد الرب يسوع المسيح نفسه. هذا يعني أننا ننتمي إلى ذات طبيعة جسد الرب، أي طبيعة آدم الثاني **الربُ مِن السماء** (١ كور ١٥ : ٤٧)، فهو **"بِكرٌ بين إخوةٍ كثيرين"** (رو ٨ : ٢٩). ووحدتنا معه هي وحدةُ طبيعة، أي أننا مِن ذات جوهر ناسوت الرب الذي تكوَّن بالرُّوح القُدس في أحشاء القدِّيسة مريم، والذي يتكوَّن فينا في سِر المعمودية المُقَدَّس، والذي مُسِحَ بالرُّوح القُدس، وهو ما يُمسح فينا بواسطة الرب يسوع بالرُّوح القُدس في مِسحة الميرون، ويُصلَب في حياة القداسة والسلوك حسب النعمة، أي حسب الروح، حيث ينمو بالنعمة التي وُهِبَت في المعمودية والميرون، ويتغذّى بالقُوت السماوي **الخبز النازل مِن السماء الواهب الحياة الأبدية** (يوحنا ٦ : ٣٣) حيث يكتَشِف في المسيح كل يوم، في السِّر الإلهي الفائق، هذه الحياة الجديدة حسب نعمة الرب، تنمو في المسيح وبعمل الروح الواحد، لكي نكون للرب الواحد وللروح الواحد، أحياء في شركة الثَّالوث الواحد.

٧٠- وتعدُّد الأسرار إنما هو عملٌ مقصود حسب تدبير الخليقة الجديدة، لأن المعمودية تُجدِّد أصلنا، والميرون يُعطِي لنا القداسة والمواهب الروحية، والإفخارستيا تُعطِي لنا الغذاء الإلهي. نحن نُولَد في المعمودية، لكي نكون على صورة المسيح، ونشرب مِن الرُّوح القُدس، لكي نبقَى أعضاء في الجسد الواحد (١ كور ١٢ : ٢٧)، ونتغذى بالطعام الإلهي لكي ننمو صاعدين مِن الحياة التُرابية إلى الحياة السماوية.

نحن نكتشف سِر ميلادنا، ومسحتنا في الخدمة الإلهية (القُدَّاس الإلهي)، ليس لأن ما وُهِبَ لنا يضيع بالزمان ومرور الأيام. فلا دورٌ للنسيان في ثبات النعمة، لأن

النعمة ليست خاضعة لإرادة وفكر الإنسان، فالله لم يعطِ لنا نعمة إبنه الوحيد، وشركة الرُّوح القُدس حسب فكرنا وحسب إرادتنا، بل حسب صلاحه وجُوده. وتحت إهمال الفكر وتراخي الإرادة والكسل، تنام الطبيعة الجديدة، التي لا يُدرِكها الفكر البشري إلاّ مِن خلال الشركة في المسيح وبالرُّوح القُدس.

كان شيوخ الدير عندنا يقولون لنا إننا بالرُّوح القُدس نستطيع أنْ نرى جسد القيامة، ليس في شكله الكامل، بل في صورته الغير كاملة لأن الإعلانَ مؤجلٌ إلى يوم الدينونة. وقال الأب زكريا الصغير إنَّ جسد الرب يسوع المسيح على المذبح، هو صورة جسد قيامتنا، وشَرَحَ هذه الكلمات بقوله إنه جسدٌ واحدٌ يُوزَّع دون أن ينقسِم إلى عدة أجسادٍ، هكذا جسد قيامتنا، يكون جسداً واحداً في الكل حسب مجد المسيح الذي يُوزَّع على الكل حسب نعمة القيامة دون أن ينقسِم، بل تظل الطبيعة الجديدة القائمة من الموت، وهو ما يجعل أجسادنا مساوية لمجد جسد المسيح. وهنا يمكن أنْ نرى بعين الإيمان أنَّ المسيح يُوَزَّع دون أنْ ينقسِم؛ لأن الإنقسام هو فعل الموت، أمَّا الوحدة فهي عمل القيامة. وكان بعض الشيوخ قد عاينوا نور الميرون الإلهي، وختم المسحة المُقدَّسة يشع بفيض نور المسيح على جبل طابور في أجسادهم، فأدركوا أنَّ الجسد النوراني، جسد المسيح، هو فيض هذا النور الذي به نتّحد في السِّر الإلهي (الإفخارستيا) عندما نتّحد به على المذبح، لكي نكون معه ذبيحة محبة.

٧١- ومِن الأسرار الإلهية، المعمودية المُقدَّسة، والمِسحة الملوكية (الميرون)، والسِّر السمائي ندخل حياة الشركة في المسيح، والتي هي تخلٍّ عن الحياة القديمة، ودخولنا حياة جحد الذات التي لا تُقَوَّم فيها حياتنا حسب مقاييس الأهواء

والفكر، بل حسب مقياس الصليب، أي التخلّي عن الحياة بسبب المحبة، لا بسبب الخضوع والقهر، لأن جحد الذات خوفاً مِن العقاب في الجحيم، أو بسبب الضغوط، أو شِدة أب الإعتراف، تُوَلِّدُ نُسكاً مزيفاً، كما تُقَوِّي الإرادة الإنسانية، ولكنها تجعل قوة الإرادة هذه، في العصيان الفكري، بينما قوة الإرادة في الحياة الجديدة، هي هبة المحبة في الرُّوح القُدس.

التعليم المسيحي عن الثّالوث:

٧٢- الثّالوث القدُّوس هو الوحدانية الحقيقية التي أُعلِنَت لنا في المسيح، وثبّتها الرُّوح القُدس بالمواهب، والقوات الروحية، والمعجزات، وقداسة الرُّسل وآباء الكنيسة، وشهادة الشهداء، وثبات المُعترفين، ووحي إنجيل ربنا يسوع المسيح يشهد لنا بأن أقانيم الثّالوث هي جوهرٌ واحد.

لماذا ثلاثة أقانيم؟ والجواب هو أننا لا نعرف إلاَّ ثلاثة أقانيم حسب إعلان يسوع المسيح الذي أعلن الآب والرُّوح القُدس في تعاليمه وحياته وموته وقيامته.

٧٣- وما هو سبب إعلان الأقانيم؟ والجواب هو أنَّ أقانيم الثّالوث هي وجودٌ متمايزٌ، فهي الأُبوة في أُقنوم الآب، والبنوة في أُقنوم الإبن، والتقديس والثبات في أُقنوم الرُّوح القُدس. هذه الأقانيم هي وجودٌ متمايزٌ يؤكّد أنَّ لكل أُقنومٍ عملاً خاصاً في اللاهوت، وهذا التمايُز يؤكد لنا إنَّ تمايُز المخلوقات مُستمدٌ مِن تمايُز الأقانيم، لأن لكل مخلوقٍ، أصلاً ومصدراً على شِبه الآب، وكل مخلوق له عمل معين على شبه الإبن، ولكل مخلوق حياةً خاصةً لا تتغيّر على شبه عمل أُقنوم التقدّيس، الرُّوح القُدس. نحن نرى أنَّ الأشجار تبقى دائماً، أي تثبت في حدود

طبعها ولونها ومسيرة حياتها، وكذلك الطيور والزروع والبشر. هذا كله يُعطى مِن أُقنوم الرُّوح القُدس.

٧٤- وإذا إستطعنا أنْ نُدرِك تمايُز الكائنات كقوةٍ تدفعها نحو الائتلاف والوحدة، إستطعنا أنْ نميِّز وحدة جوهر الثَّالوث المتمايز والواحد أيضاً. وعلى سبيل المثال؛ تجود الزروع بحياتها دون أنْ يكون لها قوةً عاقلةً، وحياةً متحركةً مثل الحيوانات، أي تجود بالحياة المتميزة عن حياة أكثر حرية ومُريدة (أي لها إرادة)، وهي حياة الحيوانات، لا سيما تلك التي تُظهِر إدراكاً أعلى، مثل الكلاب التي تُميِّز الصديق مِن العدو بسبب إقامتها مع أصحابها، ثم تجود الكائنات العاقلة، أي البشر، ليس بالحياة وحدها، بل بالفكر أيضاً، ولذلك تنمو وتتغير حياة البشر ناميةً إلى أعلى، إلى حيث الإبن الكلمة المُتجسِّد. وتمايُز الحياة العاقلة عن الحياة غير العاقلة هو تمايُز صورة حياة على شبه أُقنوم الرُّوح القُدس الذي أعلن عن ذاته في الخليقة غير العاقلة، المياه والألسنة النارية والسحابة على جبل طابور وعمود الغمام والحمامة التي ظهرت في معمودية الرب مؤكّداً أنه يلتصق بالخليقة لأنه مصدرِ حياة الخليقة حسب كلمات التقوي الأُرثوذكسية **"نؤمن بالرُّوح القُدس الرب المحيي"**. وتمايُز حياة عن حياة يُؤخَذ مِن تمايُز أقانيم الثَّالوث، لأن الخليقة كلها حيةً بعمل نعمة الرُّوح القُدس، ولذلك فهي لها تسبيحٌ خاص لا نسمعه نحن البشر، وإنما نشترك فيه بالكلمة وبالروح (ربما يقصد الكاتب بالإبن، وبالرُّوح القُدس). ومِن ثم نُدرِك تمايُز الخليقة مِن تمايُز أقانيم الثَّالوث، لأن الثَّالوث هو أصل التمايز وسبب وجوده في الخليقة. وتمايُز الحياة غير العاقلة عن الحياة العاقلة، إنما هو مِن أجل بقاء الحياة على الأرض. فلو كانت للزروع والحيوانات قدرةَ نطقٍ وكلمة، لإستطاعت أنْ تعصي الإنسان وتمنع عنه الغذاء، فتنتهي بذلك الخليقة. لكن جود كل كائن ينبع مِن حدود

الطبيعة التي رسمها الرُّوح القُدس لهذا الكائن، ولذلك يجود بكل كيانه مثل الزروع دون أنْ يعترض، أو يُقاوِّم نظراً لصلاح الطبيعة التي أُعطيت له مِن الرُّوح القُدس. وهكذا أدركنا نحن البشر أنَّ الرُّوح القُدس يعمل في الخليقة ويُعطي لها مقداراً مِن جوده لكي تجود بالحياة بغض النظر عن الذي ينال عطية الحياة المخلوقة، لأن الرب نفسه قال إنه يُشرِق شمسه على الأبرار والأشرار، ويُمطِر على الظالمين والقديسين (راجع متى ٥ : ٤٥). وهكذا نحن نُدرِك أنَّ التمايُز هو سِر وحدة الخليقة، وتآلف عملها، وقيادة الرُّوح القُدس لها نحو غاية وجودها، أي بقاء الشركة.

٧٥- إنَّ وحدة جوهر الثَّالوث ليست مِن تمايُز الأقانيم، بل إنَّ تمايُز الأقانيم هو الذي مِن وحدة الجوهر، وذلك بعكس الخليقة تماماً، لأن وحدة الخليقة، هي وحدةٌ مركبة مِن الكائنات غير العاقلة، والعاقلة والحية، مثل الجمادات والنباتات والحيوانات والإنسان. أمَّا وحدة جوهر الثَّالوث، فهي وحدةٌ بسيطة نقية بلا تركيب، وهي ليست مجموعة طبائع. أمَّا سِر إجتماع الطبائع معاً في وحدةٍ مركبةٍ، فهو ظاهرٌ لنا مِن تدبير ا لله، لأن الوحدة المركبة هي وحدةُ تهذيبٍ وتعليم، لأن الإنسان ينمو ويتعلم حقيقة ذاته، وحقيقة الخليقة ونظامها، فيقترب مِن ا لله أكثر، ويُدرِك مقدار عظمته. ولا ينمو الإنسان بدون الوحدة المركبة التي تُعطي له أنْ يعرف جسده وعقله والآخرين وقوة ا لله الخالقة، فيتحد به ويحبه وينمو بحكمة الروح.

٧٦- أمَّا تمايُز أقانيم الثَّالوث، فهو قائم كعلاقة الآب بالإبن وبالرُّوح القُدس، لأن جوهر الثَّالوث هو أُقنوم الآب الذي منه يُولَد الإبن أزلياً، ومنه ينبثق الرُّوح القُدس، ويصبح للإبن كل صفات وقدرات الآب ما عدا الأُبوة، وللروح كل صفات وقدرات الآب ما عدا الأُبوة، وهكذا يصبح للآب كل صفات

وقدرات الإبن ما عدا البنوة، وكل صفات وقدرات الروح ما عدا الإنبثاق. وبقولنا "**ما عدا**" فنحن لا نقع في خلط طبائع، بل نتمسك بتمايُز الأقانيم لأن تمايُز الأقانيم هو سِر خلاص الإنسانية. فكل صفةٍ أُقنوميةٍ، وهي الأُبوة والبنوة والتقديس أو الإنبثاق، هي صفةٌ خاصةٌ تعمل مِن أجل إعطاء عطية خاصة، لكي تصبح خصوصية العطية، هي الهبة التي تحفظ تمايُز كل عضو في جسد المسيح عن الآخر، ولكي يبقى هذا التمايز هو سِر بقائنا في شركة الثَّالوث، لأننا سوف نظل، كل واحدٍ منا مُتمايزاً عن غيره مثل، أو على مثال تمايُز أقانيم الثَّالوث لكي تفيض المحبة الإلهية وتقودنا نحو الوحدة، فلا وحدة بلا تمايُز.

٧٧- وعندما ننال التبني، فنحن ننال ذات العطية، ولكن مع عطية البنوة يحفظ الرُّوح القُدس ثبات كل إنسانٍ في التقديس متمايزاً عن غيره، إذ ينقل تمايُز الأقانيم إلينا لكي يبقى كل منا عضواً في جسد المسيح الواحد. وعندما ننال الحياة الأبدية في الثَّالوث، يحفظ الرُّوح القُدس كل واحدٍ منا حياً إلى الأبد، كإبنٍ لله على مثال كمال الرب يسوع المسيح، وينال كل واحدٍ مِن الروح ذات تمايُز الإبن عن الآب، وهو كما قلنا تمايُز بلا إنفصال.

٧٨- هكذا يعمل الثَّالوث القدُّوس، فمِن حياةٍ واحدةٍ، وتمايُز أقانيم، يُشرِك الخليقة غير العاقلة في تمايُزه على مستوى إنفراد كل كائن بعطية خاصة، ولكي يُشرِك الخليقة العاقلة على مستوى النعمة التي يتساوى فيها الكل، فلا توجد بنوة ناقصة أو زائدة، بل بنوة واحدة، ولا توجد حياة أبدية ناقصة أو زائدة، بل حياة أبدية واحدة يحفظها الرُّوح القُدس بمحبته للبشر.

٧٩- وعندما ينال كل واحدٍ مِنّا ميراثه السماوي مِن الثّالوث، يحفظ الرُّوح القُدس تمايُز كل أبناء ا لله، بواسطة شركة كل أبناء ا لله في تمايُز الأقانيم، وهو ذات التمايُز الذي رأيناه في الإبن المُتجسِّد، والذي فيه قد وُهِبَ للإنسانية.

لا خلاص بدون تمايُز الأقانيم في الثّالوث:

٨٠- أمّا وقد دخلت بلاد مصر دعوةٌ جديدةٌ للتوحيد، تُنكِر الثّالوث، فقد تعيَّن علينا أنْ نقول لكل المؤمنين بالمسيح، إنه لا خلاص لنا بدون تمايُز أقانيم الثّالوث. هذه هي دعوة إنجيل إبن ا لله ربنا يسوع المسيح لنا. وكل الذين يقبلون التوحيد الجديد، هم يُنكرون نعمة وسُكنى الرُّوح القُدس، كما ينكرون تجسُّد إبن ا لله، وصلبه وقيامته، فهذه الإعلانات الإلهية هي التي أعطت لنا الإيمان بالثّالوث القدُّوس. ونقول للكل، كشهودٍ أُمناء، إنه وإنْ كان الآباء لم يكتبوا شيئاً عن هذه الدعوة الجديدة، فإننا وقد تعلّمنا أنْ لا ننطق إلاّ بالحق، وأنْ نُحب الغرباء والأعداء، وأنْ لا نلعن ولا نكره، بل نتكلم بطهارة قلب ولسان حسب تعليم ربنا يسوع المسيح، فإننا لا نقبل هذا التوحيد لأنه يُنكر نعمة الخلاص، وينكر علينا هبة الحياة الأبدية. ودراسة البدعة الأريوسية تُعلّمنا أنَّ التوحيد غير المُثلث لا يحفظ للإنسان صورة ا لله التي فيه، لأن الإنسان إذا عاش على الأرض و لم يتشبَّه بخالقه، فهو لا ينال إلاّ وجوداً مُزيَّفاً كاذباً فيه أُلوهة كاذبة. وكل تعليم عن التوحيد، مهما كان، إنما نُميِّزه تمييزاً حقيقياً بما يُعلّم به عن النعمة؛ لأن النعمة هي نهاية كل تعليم عن وحدانية ا لله. وكل توحيد مهما كان لا يعلم الإنسانية عن نعمة ا لله وشركة الإنسان في الحياة الإلهية هو تعطيل للتوحيد نفسه. وهكذا يؤدي إنكار الثالوث إلى إنكار كل تعليم عن النعمة، ويعيد دور الشريعة كوسيطٍ بين ا لله والناس، و لم تُعطَ الشريعة للخلاص، بل كما يقول الرسول "**بالشريعة معرفة الخطية**" (رو ٣ : ٢٠)،

وبالشريعة معرفة الدينونة، ولذلك قال الرسول بولس إنَّ الناموس قد أُعطِي لكي تظهر طبيعة الخطية، بينما يعجز الناموس عن أنْ يُخلِّص الذين يحاولون أنْ يقتربوا به مِن ا لله.

٨١- توحيد الإنجيل هو تثليث أقانيم اللاهوت، وهو توحيد النعمة، وليس توحيد الشريعة، والفرق بين هذا وذاك، هو فرقٌ بين مَنْ يقول إنَّ الإنسان خالدٌ عديم الموت بالطبيعة، وبين مَنْ يقول إنَّ الإنسان خالدٌ عديم الموت بالنعمة، أي بالشركة في الطبيعة الإلهية. وخلود الإنسان بالطبيعة - بفرض صحته - يعني عدم شركته في طبيعة ا لله، وهو ما يعني أيضاً الظن بأنه يستطيع أنْ يتألَّه بواسطة حفظ الشريعة، وهي ذات حالة الإنفصال عن ا لله. أمَّا نحن فنقول، إنَّ توحيد الإنجيل هو توحيد حفظ صورة ا لله في الإنسان بواسطة نعمة ا لله.

٨٢- وكما قلنا مِن قبل، إنَّ توحيد جوهر اللاهوت، وتمايُز الأقانيم هو سبب خلاصٍ أبدي لنا، لأننا نؤمن أننا ننال ذات صورة المسيح؛ آدم الجديد التي يُعيد خلقتها فينا، المسيح نفسه وبالرُّوح القُدس، فنكون حقاً صورة ا لله الكلمة المُتجسِّد، التي يُعيد رسم حدودها المتمايزة في كل واحدٍ مِن المؤمنين، روح يسوع المسيح. أمَّا التوحيد بلا ثالوث، فهو تعليمٌ ينفي حياة الشركة، لأننا لا نملك أنْ نشترك في الحياة الإلهية إلاَّ إذا كان في هذه الحياة ما هو متمايِزٌ، ومُعلَنٌ في ا لله، وله أصل (جذر) في الانسان، أي صورة ا لله. وإذا قُلنا إنَّ ا لله واحدٌ، وتوقفنا عند هذه العبارة، وأضفنا إليها كل الصفات والأسماء الحسنة، فإننا نجد أنها في النهاية لا تُعلِن لنا شركة متمايزة في الحياة الإلهية. فقد نكون رحماء، وحكماء مثل ا لله، ونتشبَه به على قدر ما نستطيع، ولكن هذا يختلف عن شركتنا في بنوة الإبن، لأن رحمة ا لله مُعلَنةٌ في الغفران والتغاضي عن خطايا البشر، وهو أمرٌ حميد وجيد، ولكنه أقل مِن

البنوة، لأن الرحمة والحكمة، وغيرها مِن الصفات ينتهي عملها بعد يوم الدينونة، أمَّا البنوة، فهي لا تنتهي بعد يوم الدينونة، بل تبقى مغروسةً في المحبة الإلهية. نحن نحتاج إلى حكمة ا لله لكي نُدرِك الخير، ونبتعد عن الشَّر، ولكن البنوة هـي علاقـةٌ خاصـةٌ بمن هو آبٌ، نجد في أُبوته وبنوة إبنه أعظم إعلانٍ عـن المحبـة، وعـن العلاقـة الخاصـة بيننا وبين الآب والابن والروح، هذا يكشف لنا عن تمـايُز الأقـانيم، لأنـه تخصيـصٌ ضروريٌ يجعل علاقتنا با لله، علاقةً بذات ا لله، وليس بصفاتـه فقـط. فالرحمـة صفـةٌ عامةٌ لا تبني علاقةً شخصيةً ذاتيةً تجـود فيهـا الـذات بمـا تملكـه كشـخصٍ، ويكـون الجود هو ذاته العلاقة الشخصية الذاتية. نحن نشترك في الحياة الإلهية المتأقنمة، وليس في الحياة الإلهية غير المتأقنمة (١). وهكذا رحمـة ا لله هـي رحمـة الآب المعلنـة في إبنـه يسوع المسيح، أي أنها علاقةٌ شخصيةٌ (أُقنومية) بين الآب والإبن ومُعلَنةٌ للخليقـة. وهكذا سائر الصفات الإلهية، هي مُعلَنةٌ مِن أُقنومٍ مِن أقانيم الثَّـالوث. أمَّـا التوحيـد بدون ثالوث، فهو توحيدٌ عامٌ، لا توجد فيه علاقـة شـخصية بـين ا لله والبشـر، ولا يوجد فيه تعليم عن مكانة ومصير الإنسان، ولذلك تقوم فيه الشريعة بدور الوسـيط لأن الشريعةَ بدورها، هي علاقةٌ غير شخصيةٍ لا تُعطـي مكانـةً للإنسـان عنـد ا لله، ولا تسمح له بالنمو إلى غاية وجوده، لأنها قاصرةٌ على منع الشَّر.

---

(١) يوجد فرق بين enhypostasia المتأقنم، أو في الأقنوم وبين anhypostasia غـير المتـأقنم، وحرف النفي اليوناني a، هو الفرق الوحيد بين الكلمتين. وقد ظهرت كلتا الكلمتين أثناء الحـوار قبل، وبعد البدعة النسطورية.

التوحيد والثّالوث والصلاة:

٨٣- إنني في الوقت الحاضر، أكتفي بأن أُذكِّركم بما تحدثنـا فيه بعد عيد قيامة الرب، وفي إجتماعنا مع الإخوة بأن صلاتنا حسب إنجيل ربنا يسـوع المسيح هي دعوةٌ للنمو، ودعوةٌ لتحلي الجسد والروح بالنعمة، لكي نصبح مثل ربنا نفسه، كائنٌ نورانيٌ سماويٌ يرتفع مِن رتبة آدم الأوَّل إلى رتبـة آدم الأخـير. والصلاة هـي تحوُّلٌ داخليٌ في القلب وفي الجسد لكي يرتفع إلى ذات عرش إبن الله، ولذلك قـال الربُ إن مَنْ يغلب في هذه الحرب الروحية، سوف ينال عرشـاً مثـل العرش الـذي أعدَّه الآب للإبن (رؤ ٣ : ٢١). وصلاتنا على هذا النحو لا يمكن أن تُؤسَّس علـى توحيد ذات الله فقط، لأن كلمة ذات وجوهر وسائر الصفات الإلهية مهما كانت، تفقد أهميتها إذا لم يكن في جوهـر وذات الله أقـانيم الثّـالوث، لأن الأقـانيم تُعلِـن صفات الله (أي أن الأشخاص يعلنون الصفات، كصفـاتٍ شـخصية) أمَّـا الجوهـر أوالذات بدون أقانيم، فهو لا يُعلِن شيئاً حتى عن المحبة نفسها، لأنـه ليـس مطلـوبٌ أنْ نتكلم عن المحبة بشكل عام (مجرد)، بل عن محبة يوحنا ومحبة بولس، ولذلـك إذا أردنا المقارنة بين مستويات المحبة، فإن المقارنةَ لا تجـوز بـدون أنْ يكـون لدينـا محبـةُ شخصٍ معين، تُقَارن مع محبة شخصٍ آخر. وهكذا نحن نتكلم عن محبة الآب ومحبـة الإبن وروح المحبة، الرُّوح القُدس (رو ٥ : ٥). ومِـن هـذا نُـدرِك أنَّ الصـلاة للإلـه الواحد، هي فرضٌ وواجبٌ، ولكن الصلاة للثالوث وفي الثّـالوث، هـي حيـاةٌ تنمـو صاعدةً نحو مجد ذاك الذي أعطانا حياته لكي تُصبح مثـالاً (منهجـاً) للصـلاة. ومَـنْ يُصلي لإله واحدٍ، لا يُخطِئ، ولكنه يبقى في مكانه الـذي تحدده الشـريعة لا ينمـو، ولكن مَنْ يُصلي للآب في إبنه يسوع المسيح وبالرُّوح القُدس ينال ذات العلاقة التي

بين أقانيم الثّالوث. ولأجل ذلك السبب عينه قال الرسول بولس: **ولأنكم أبناء أرسل الله روح إبنه إلى قلوبكم صارخاً آبّا أيها الآب** (غلا ٤ : ٤).

٨٤- لِنُصلي في الإبن ربنا يسوع المسيح، لأن أية صلاة ليست فيه هو، أي بإسمه، هي صلاةٌ باطلةٌ، قد تعود بنفعٍ مؤقتٍ، ولكنها لا تحمل وعد النمو والشركة مع الآب في إبنه. وقد كَتَبتُ رسالةً للأب المُتوحِّد تيموثاوس عن شفاعة الرُّوح القُدس، وقبلها رسالةً أُخرى للإخوة حول نفس الموضوع، وكلاهما يُلخِّص تعليم المسيح، وهو إننا نستلم الصلاة مِن الله نفسه، ومِن الله ننال العون والنعمة لكي ندخل هذا الهيكل السمائي المقُدَّس، أي الصلاة، لكي نصير إبناء للآب مشتركين في بنوة إبنه يسوع المسيح.

خاتمة:

٨٥- أتوسل إلى الآب السماوي الذي أعطانا حياة إبنه لكي نحيا به وفيه، أنْ يكون لنا فرح الخليقة الجديدة بالثّالوث القُدُّوس، وأنْ لا نتزعزع عن الطريق الذي نسير فيه، أو نحيد عنه لأنه طريق القديسين، ولأنه ذات الطريق الذي رسمه لنا ربنا يسوع المسيح نفسه، الذي قال: "أنا هو الطريق إلى الحياة الحقيقية" [١] (يوحنا ١٤ : ٦). صفرونيوس يسأل بركة صلواتكم.

---

(١) حسب الترجمة القبطية.

ملحق[1]:

تاريخ، وأسباب

إستخدام كلمتي جوهر، وأقنوم

عند الآباء

أولاً: كلمة أُقنوم Hypostasis Ηποστασις

كلمة أُقنوم هي تحريفٌ للكلمة السريانية "قنوما"، والكلمة اليونانية شائعة جداً في العالم القديم. إستُخدِمت في الطب والعلوم والفلسفة والكتابات الدينية.

إستخدمها أبوقراط مؤسّس الطب اليوناني القديم في وصف إصابات العمود الفقري، عندما يعجز عن أنْ "يدعّم" قدرة الإنسان على الحركة. فالعامود الفقري هو الدعامة، أو Support.

واستخدمها أرسطو في الكلام عن الحيوانات التي تسير على أربعة أرجل، وتستخدم الأطراف الأمامية لكي تدعم حركة الرجلين الخلفيتين.

واستُخدِمت بمعنى الرواسب التي تتكون بعد إستقرار السوائل، أي Sediment.

---

(١) أُخذ هذا المُلحق عن كتابي "الثالوث" و"الوجود شركة" للأسقف يوحنا زيزيولاس، بتصرف.

وفي الفلسفة، وعلى يد الرواقيين صار الإسم Hypostasis يعني "الكيان"، أو "الوجود"، وإشتُق من الإسم، الفعل بمعنى "يوجد"، أو "يكـون". وتطـور المعنـى من مجرد الوجود، أو الكينونة إلى الوجود الفعلي، أو الحقيقي.

وفي الأدب صار الإسم يعني الوجود الحقيقي خلف، أو الكامن وراء ما هـو منظور.

الترجمة السبعينية:

ورد الإسم حوالى عشرين مرةً في العهد القديم، وهو ترجمـة لما يقـرُب مـن إثنتي عشرة كلمـة عبرانيـة. إنَّ مـا يجـب أنْ نـراه هنـا، هـو كيـف تحوَّلـت الكلمـة Hypostasis إلى "الشئ الخاص الذي يملكــه البشـر"، كمـا في إسـتيلاء المديـانيين على كل ما يخـص إسـرائيل، حتـى أنهـم لم يـتركوا لهـم شـيئاً. فحسـب السـبعينية "πovτo υπoστασιv ξωηϛ"، وهذا هو ما حوَّل الكلمة إلى ما هو خاص، أي ما يملكه إنسانٍ معين، أو شعبٍ معين.

ولأن الكلمة تعني ما هو كائنٌ، وموجودٌ في الواقع، لذلك تَرجَمَت السبعينية نص حزقيال ٢٦ : ١١ إلى "وتسقط الأعمدة القوية"، أي تسقطُ القـوة، أو عنصـر القوة، أو قاعدة القوة. وكذلك في عبارة نُعمى لراعوث: ليس لديهـا رجـاء، أي لا يوجد لديها وجود للرجاء بالمرة (را ١ : ١٢).

العهد الجديد:

أهم إستعمالات العهد الجديد، هو نص عب ١ : ٣؛ لأن الإبن هـو "رسـم جوهر، أو (أُقنوم) الآب"، أي رسم الوجود الإلهي، أو الكينونة الإلهية.

وأيضاً نص عب ١١ : ١ الإيمـان هـو جوهـر الرجـاء، أو كينونـة الرجـاء، حسب الأصل اليوناني "Εστιν δε πιστις ελπιξομενων υποστασις".

و لم تعرف الترجمات الخاصة بالعهد الجديد كلمـة "ثقـة"، (حسـب الترجمـة البروتستانتية لمارتن لوثر" الإيمان هو الثقة التامة بما يُرجى")، ولكن لوثر عـدل عـن الترجمة، وإعتمد "الثقة" [١]، بينما إعتبر الآباء إنَّ معني النص، هو إنَّ جوهر، أو قوام الإيمان هو الرجاء.

إستعمال كلمة أُقنوم في غير الكلام عن الثالوث:

نظراً لضيق المجال نكتفي بعرض عبارات موجزة مـن كتابـات الآبـاء. ففـي العظة ٣ : ٤٣ يذكر القديـس مكـاريوس "إن العُملـة المزيفـة تلمـع إذا غُمِسَـت في الذهب، وتكتسب ذات بريق الذهب، ولكن يظل جوهرها معدن رخيص". ويذكر القديس ابيفانيوس "إن الإنسان بمرور الزمن سوف يكتشف قوام، أو جوهر الوصايا الإلهية" (ضـد الهرطقـات ٦٦ : ٧١). وفي الدفـاع يقـول أثينـاغوراس "إن الملائكـة الذين سقطوا قد أهانوا كيانهم" (٢٤ : ٤). وعندما يشرح القديس إيرينيؤس قيامة الجسد، يذكر "تحوُّل المائت والفاسد إلى الخالد وعديم الفساد، ليس بقـدرات ذاتيـة لكيان الإنسان، بل بقوة الرب يسـوع المسـيح" (ضـد الهرطقـات ٥ : ١٣ – ٣). ويدافع القديس أكليمنضس الإسكندري عن "وحدة الكنيسة الجامعة التي لها قـوام،

---

(١) راجع المجلد الثاني من قاموس المصطلحات اللاهوتية للعهد الجديد:

Theological Dictionary of the New Testament, ed by G. Kittl, p 586.

أو جوهر واحد" (المتنوعات ٧ : ١٧)، "بينما الهرطقات لها أكثر من مصدر، ولذلك فالذين يتبعون الهرطقات، لا ينتمون إلى ذات الأصل أو القوام الواحد، أي الكنيسة الجامعة". وحتى الشيطان حسب شرح العلاّمة أُوريجينوس "ليس له قوام فاسد، وإنما خُلِقَ صالحاً وله قوام أو جوهر صالح، أفسده هو بالخطية" (شرح إنجيل يوحنا ٢ : ٢١ فقرة ١٧٤).

ويظهر المعنى أكثر في عبارة القديس أكليمنضس الإسكندري حيث يذكر "إن الرسول بولس يؤكد أن معرفة الخطية أعلنها الناموس، ولا يذكر الرسول بولس إن الخطية أخذت كيانها من الناموس" (المتنوعات ٢ : ٧ - ٣٥ : ١٠). ومن هنا جاء تعبير القديس أثناسيوس من "أن الوجود خير، لأن الوجود له Hypostasis والشر عدم، لأن الشر من إختراع عقل الإنسان، و لم يخلقه ا لله" (ضد الوثنيين ف ٦).

كلمة "أقنوم" كما إستعملها الآباء للثالوث:

إذا كانت هذه الكلمة الهامة قد إستُعمِلت في الطب والفلسفة والمعرفة الإنسانية بشكل عام، فلماذا إستخدمها الآباء في شرح عقيدة الثالوث؟

أولاً: تجسد الإبن الوحيد:

كان التجسد هو الحدث الأعظم، والأكبر الذي جعل تمييز الآب عن الإبن ضرورياً. فالحدث هو الذي خلق ضرورة إستعمال الكلمة، فقد أرسل الآب إبنه الوحيد. هذه العبارة المُوجزة لا يمكن أن تمر في حياة وصلوات المسيحيين دون أن تعطي لكلمة أُقنوم مكاناً هاماً؛ لأن الإبن الذي جاء من عند الآب هو غير الآب. وهكذا جاء إستعمال هذه الكلمة - ربما لأول مرة - عند العلاّمة أُوريجينوس في

الرد على كلسوس (٨ : ١٢) حيث يقول: "الآب والإبن هما أُقنومـان"، وأضـاف أُوريجينوس كلمة أُخـرى غير شائعة في الأدب اليونـاني، و لم تستخدم في الترجمة السبعينية، وهي كلمة Πραγματα أي الوجود الخـاص، أو الوجـود المتمـايز، أي ما هو كائن حقاً في الأُقنوم، أي أن الأُبوة والبنوة معـاً هـما Πραγματα (شـرح إنجيل يوحنا ٢ : ١٠، ٥) لأن تمايز الآب عن الإبن يشـرح لنـا حقيقـة مجئ الإبـن بالجسد من أجل خلاصنا.

ثانياً: تدبير الخلاص:

إن غاية التدبير هو إعـادة الشـركة المقطوعـة بـين الإنسـان وا لله، وحسـب تسليم الآباء: كل شئ من الآب (الأصل)، بالإبن (مُعلَن)، ويُعطى بـالرُّوح القُـدس (العطية أو الهبة). هـذه العبـارة المُوجـزة جـداً، هـي خُلاصـة التعليـم الأُرثوذكسـي الآبـائي كلـه. فـالآب هـو الينبـوع حسـب شـرح القديـس اثناسيوس (الـرد علـى الأريوسيين، المقالة الأولى ١٩) والإبن هو "ماء" هذا الينبوع، والـرُّوح القُـدس هـو العطية، أي تذوُّق الماء (رسائل القديس اثناسيوس إلى سيرابيون).

وهكـذا نجـد أن تدبـير الخـلاص كـائنٌ في الآب، مُعلـنٌ في الإبـن، ومُعطـىً بالرُّوح القُدس. فلماذا يجب علينا أن نحفظ هذا التمايز؟ والجواب هو:-

١- لأن ا لله أعلن لنا هذه الحقيقة.

٢- لأن مجئ الإبن متحسداً، وإنسكاب الرُّوح القُدس علينا هـو عمـل الثـالوث في الزمان، وفي التاريخ لكي يحفظ لنا هذا العمل حقيقة الخلاص.

٣- وحقيقة الخلاص هي حفظ تمايز المخلوق عن الخالق، رغم إنسكاب الحياة الإلهية فينا.

٤- إنسكاب حياة الثالوث فينا، كعطيةٍ إلهيةٍ هي أصلاً عائدة إلى تمايز الأقانيم. فقد وهبنا التبني، أي عطية خاصة أصلها في تمايز الآب والإبن، لأننا نشترك حسب النعمة الإلهية في بنوة الإبن للآب، ولذلك نحن نصرخ معه " أبّا أيها الآب " (غلا ٤ : ٤ – ٥)، ووهبنا سُكنى الرُّوح القُدس، وسُكنى الرُّوح القُدس هي عطية خاصة أصلها في إنبثاق الرُّوح القُدس من الآب وحده، ثم إنسكاب هذه العطية فينا بواسطة الإبن. هنا بالذات يحدد لاهوت الآباء ضرورة الإيمان بأن المسيح وحده هو الذي يُعطي الرُّوح القُدس من عند الآب، لأن عطية الرُّوح القُدس لا يمكن أن تُوهب إلاّ إذا تقدست الطبيعة الإنسانية، وتم تحريرها من الفساد والخطية، وهو العمل الذي لأجله تجسد الإبن ومات وقام.

فالإبن يولد أزلياً من الآب، والروح ينبثق أزلياً من الآب، والولادة من أصل عطية التبني والإنبثاق هو أصل عطية سُكنى الرُّوح القُدس فينا.

فالخلاص لا يمكن شرحه، أو إختباره إذا كان ا لله هو أُقنوم واحد.

الوجود الخاص، أو المُتمايز في جوهر ا لله:

في مرحلة الصراع ضد الهرطقة الأريوسية، لم يُميِّز الآباء بين الجوهر والأُقنوم؛ لأن كلمة ουσια لها نفس المعنى اللغوي لكلمة Hypostasis، ولكن تطور الصراع اللاهوتي ضد الأريوسية ألزم الآباء بضرورة التخلّي عن المعنى العام الشائع في الأدب اليوناني، والإلتزام بالمعنى اللاهوتي حسب الإختبار المسيحي.

كان الآباء باسيليوس، وغريغوريوس النزينزي، وغريغوريوس النيصي، هم أوَّل مَن أصر على ضرورة الإحتفاظ بكلمة " جوهر " لشرح ما هو عام في ا لله، والإحتفاظ بكلمة "أُقنوم" لشرح ما هو خاص في ا لله. هكذا كل صفات ا لله مثل القداسة، والقوة، والحكمة، والمحبة، هي صفات جوهر ا لله، هي ما يشترك فيه كل أُقنوم؛ لأنه واحد مع غيره. أمَّا صفة الأُبوة، فهي صفةٌ خاصة بالآب، كذلك صفة البنوة، هي صفة خاصة بالإبن، وأيضاً الإنبثاق، هي صفة خاصة بالرُّوح القُدس.

ومرةٌ أُخرى، كان تجسد الإبن وموته وقيامته وصعوده إلى السموات، حيث يملك عن يمين الآب هو الإعلان الذي جعل تمايُز الإبن والآب ضرورياً. كذلك كان الحدث العظيم، يوم العُنصرة وإنسكاب الرُّوح القُدس بشكل جديد علينا نحن البشر، هو الحدث والإعلان الذي جعل تمايُز الروح عن الإبن ضرورياً؛ لأن الروح جاء كعطية أُخرى حسب عبارة الرب " وأنا اطلب من الآب فيعطيكم معزياً آخر ليمكث معكم إلى الأبد" (يو ١٤ : ١٦).

ومن واقع الإختبار المسيحي، نستطيع أنْ نرى تمايُز الأقانيم واضحاً في:

أولاً: في الصلاة التي تقدم للآب بإسم، أو في شخص الإبن رأس الكنيسة، ورئيس الكهنة.

ثانياً: في شفاعة الرُّوح القُدس الذي يعلمنا كيف نُصلِّي في المسيح، لكي ننال مكاننا في ا لله و"كذلك الروح أيضاً يعين ضعفاتنا.لأننا لسنا نعلم ما نُصلِّي لاجله كما ينبغي، ولكن الروح نفسه يشفع فينا بأنّاتٍ لا يُنطَق بها" (رو ٨ : ٢٦).

ثالثاً: في الأسرار الكنسية، لاسيما في المعمودية والميرون والإفخارستيا، وهي

الأسرار الثلاثة التي تُعطى لكل مؤمن، والتي تكمِّل شركتنا في الثالوث، وفي شـركة الكنيسة، أي القديسين، وفي حياة الدهر الآتي الـتي تُعلَـن لنـا في القداسـات عندمـا نشترك في تسبيح الثالوث القدوس مع الشاروبيم والسيرافيم والطغمات السماوية.

الجوهر والأقنوم حسب الحياة الروحية الأرثوذكسية:

من رسالة الأب صفرونيـوس هـذه، ومـن بـاقي كتابـات الآبـاء، نـدرك أن عبارة الجوهر الواحد تساوي التوحيد، وإن توحيد المسيحية قائم على وحدة جوهـر ا لله. نحن نؤمن بإله واحد كما نقول في قانون الإيمان، والإله الواحـد هـو الثـالوث الذي له جوهر واحد - حياة واحدة - إرادة واحدة. هذا يجعل الحياة الأُرثوذكسية حياة عبادة وصلاة لإله واحد، له حياة واحدة معلنة في الثالوث القدوس. وإذا بدأنا بالتوحيد، أي وحدانية الجوهر، فإننا نختم بالثالوث، وإذا بدأنا بالثالوث، فإننا نختـم بالجوهر الواحد. هذا هو ما يُميِّز كل صلوات الكنيسة الأُرثوذكسية.

وحسب الحياة الروحية الأُرثوذكسية، فإننا لا ننال شيئاً مـن الآب إلاّ بواسـطة الإبن. وهكذا أصبح إدراك نعمة ا لله يتوقف على إستيعاب كلمـة أُقنـوم؛ لأنهـا الكلمـة التي تحمل لنا غنى النعمة الإلهية. ونحن لا ننال شيئاً في الإبن إلاّ بواسطة الـرُّوح القُدس، وحسب رسالة الآب صفرونيوس وحسـب تعليـم الآبـاء، نحـن لا ندخـل شـركة الحيـاة الإلهية بقدراتنا وتصوراتنا، بل قد وضـع الثـالوثُ النعمـةَ تحـت سـلطان وإعـلان الـرُّوح القُدس؛ لكي يمنع كل تصورات العقل وتشامخ الفكر من أن تُلوِّث محبة وعطية ا لله.

فالحركة الإلهية، أي حركة المحبة في الثـالوث تبـدأ مـن الآب، وتُعلَّـن في الإبـن، وتُعطى بالرُّوح القُدس، مع ملاحظة أننا نحن في الإبن بسبب إتحاده بالطبيعة الإنسانية.

يقول الأب صفرونيوس في رسالته للأب زكريا (لم تُنشر بعد):

" عندما نقول أننا في الإبن بسبب تجسده، فإننا نعني ثلاثة أشياء:

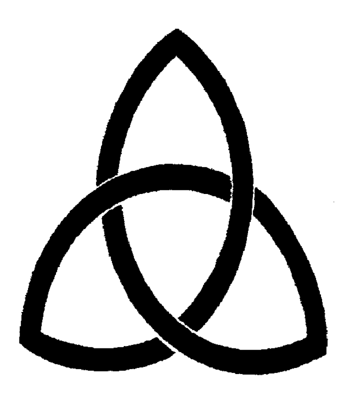
أولاً: إنه هو رأس الكنيسة والوسيط الوحيد الذي جمع في أُقنومه الإلهي، ووحد به الطبيعة الإنسانية التي أخذها من والدة الإله.

ثانياً: إننا لنا وجود دائم لا يمكن أن تفصله الخطية، لأنه وجود حسب إتحاد إلهي بالناسوت، وليس حسب إرادة وقدرة الطبيعة الإنسانية للمؤمنين، بل حسب قدرة ومحبة الطبيعة الإلهية التي جعلت الناسوت واحداً مع اللاهوت بغير إختلاطٍ، ولا إمتزاجٍ، ولا تغيير.

ثالثاً: إنَّ وجودنا في الإبن هو وجود نعمةٍ بالنسبة لنا، ووجود إتحاد حقيقي لا إنفصال فيه بالنسبة لناسوت الإبن، وهو ما سوف يُعلن فينا في اليوم الأخير؛ لأننا سنكون مثل المسيح، أي مثل إتحاد اللاهوت بالناسوت، حسب التسليم الرسولي "أيها الأحباء نحن الآن أولاد الله (أي لنا وجود نعمة التبني في المسيح)، ولم يظهر بعد ماذا سنكون (لأننا لاندرك بعد حقيقة، وعمق إتحاد اللاهوت بالناسوت)، ولكن نعلم أنه إذا أُظهِرَ (أي في اليوم الأخير) نكون مثله (أي مثل إتحاد لاهوته بالناسوت) لأننا سنراه كما هو" [أي سنرى، أي سيُعلَن فينا المجد المخفي الذي لايمكن للزمان الحاضر أن يعلنه، لأنه عاجزٌ أمام قوة ومحبة المسيح] (راجع ١يو ٥ : ٢).

هكذا لا يمكن أن نفهم التجسد بدون الثالوث، ولا أي تعليم عن التبني، أو سُكنى الرُّوح القُدس بدون الثالوث. ونكتفي بأن نترك للقارئ أن يتذوق كلمات التقوى الأُرثوذكسية للأب صفرونيوس.

الغُــلاف:



التريكويترا Triquetra:

التريكويترا هو رمزٌ للثّالوث إستُخدِمَ في بريطانيا العُظمى، وهو يتكونُ مِن ثلاثةِ أقواسٍ متساويةٍ ترمزُ إلى الوحــدةِ بين الأقانيم، ومُتصِلةٍ ترمزُ إلــى السرمديةِ، والتشــابُك يرمزُ إلى عدم الإنقسام. وفــي حركةِ الأقواسِ الدائريــةِ رمزٌ للتدبير الإلهي لخلاص الإنسان، فالقوسُ الهابطُ رمــزٌ للمسيح الكلمة حيثُ أخلى ذاتـــه ونــزل إلى الأرضِ، والقوسُ المُستعرَضُ هو رمزٌ للآبِ حيثُ الثباتُ والإتزان، والقوسُ الصاعدُ رمزٌ للرُّوح القــدُس حيــثُ يَســمو بالإنسانِ صاعداً به إلى التقديس، ومركز هذه الحركــةُ الدائريةُ المتشابكةُ هو الإنسانُ محور إهتمام الله.

جدول المحتويات



لِنفرح بـالثَّالوث خالقنا، لأن كل الأشياء تأخذ وجودها وحدود طبعها مِن الآب، وشكل ورسم كيانها مِن الإبن، وحياتها مِن الرُّوح القُدس. عملٌ واحدٌ بإرادةٍ واحدةٍ، ونعمةٌ وهبةٌ واحدةٌ للثالوث القدُّوس. لِنفرح بالآب الذي يُعطِّي لنا الوجود، وبالإبن الذي به نتجه نحو غاية وجودنا، أي الراحة والفرح الأبدي في الله، ولِنفرح بالرُّوح القُدس الذي يرسم حياتنا ويُدبِّر الذين يلتصقون به، ويقودهم برفق نحو التقديس.